

4198

كتاب ابن السكيت

وما يجب على المسلمين معرفته عن :

الملك
محمد

الخبز
الخبز

الدين

مع عرض لآراء كبار رجال الدين والآداب
بمصر والحجاز قديما وحديثا

وضع واختيار

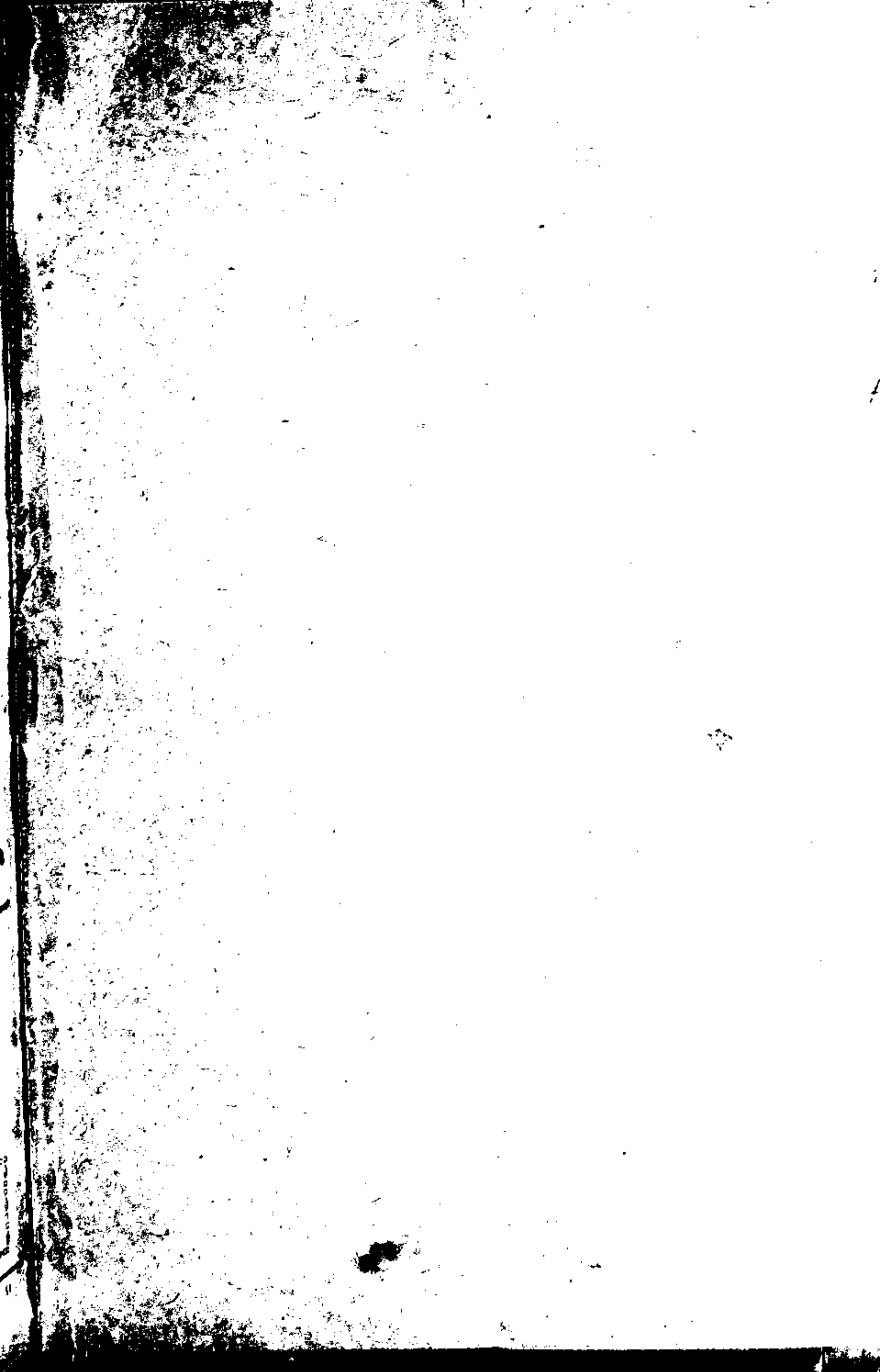
الحاج عبا سن كرارة

ريالين سعودي بمكة
١٥ قرش بمصر

حقوق الطبع محفوظة للؤلؤف

الطبعة الثانية

يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر ومكة والمدينة وغيرها الموضحة بأخر الكتاب



الدين والشريعة

وما يجب على المسلمين معرفته عن :

الدين

الشريعة

الدين

مع عرض لآراء كبار رجال الدين والأدب
بمصر والحجاز قديماً وحديثاً

وضع واختيار

الحاج عياض كرازة

ريالين سعودي مكة
١٥ قرش بمصر

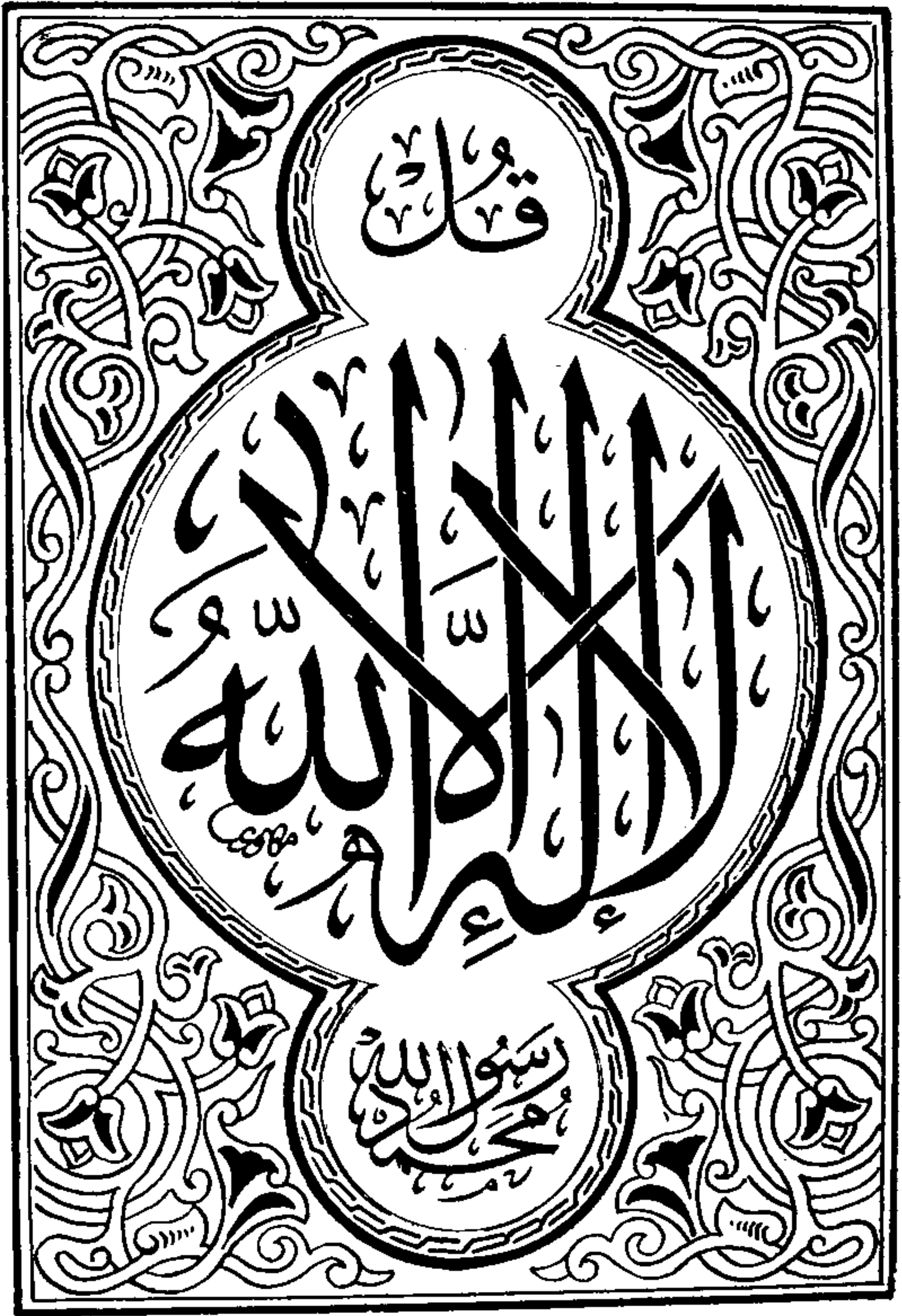
حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف

الطبعة الثانية

من المكاتب الشهيرة بمصر ومكة والمدينة وغيرها الموضحة بأخر الكتاب

~~89407~~

87407



إهداء الكتاب لكل مسلم ومسلمة

إلى الذين يتبعون وجه الحق ويؤمنون
بالله واليوم الآخر ويعبدون ربهم على
بصيرة في دينهم .

أتشرف بإهداء كتابي هذا
راجياً من الله تعالى حسن القبول .
عباس كزاره

الغرض الذي تتوخاه في مؤلفاتنا

- (١) نشر الثقافة الإسلامية بين أبناء الأمم الإسلامية .
- (٢) تبسيط الأحكام الشرعية ، وعرضها بأسلوب سهل جذاب .
- (٣) الدفاع عن عقيدة التوحيد بكل ما أوتينا من قوة .
- (٤) تشويق الناشئة الإسلامية إلى أسرار الرسالة المحمدية وبيان ما اشتملت عليه من خير وجمال كفيين يأسع البشريّة عن بكرة أبيها .
- (٥) محاربة البدع المجافية لروح الإسلام .
- (٦) الدعوة إلى الفضيلة ونبها في نفوس أفراد الأمم .
- (٧) تثقيف الفتاة وإعدادها للأمم الطيبة .
- (٨) تعبيد سبيل السعادة للمسلمين في تمسكهم بدينهم الحنيف .

تطبع وتباع هذه الكتب بتكاليفها الأصلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد والصلاة والسلام على إمام
المتقين و قدوة الموحدين وبعده :

فإن توحيد الله سبحانه وتعالى أصل العبادات ، ومصدر الهدايات
والمميز بين المؤمن والمشرك .

وأن أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه دعوة الناس إلى توحيد رب
العالمين وإرشادهم إلى الدين القويم ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه :
" لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها ، .

وقد وفقني الله تعالى إلى وضع مؤلف أسميته (الدين والشهادة)
وهو يحتوى على أقسام ثلاثة :

الأول فى الدين ، والثانى فى التوحيد ، والثالث فى الرسالة المحمدية ،
وقد راعيت فى كتابى هذا سهولة الأسلوب ، وعدم التطويل ، ولزيادة
الانتفاع به وحب الخير ، رأيت أن أدون كل مقال نافع ، وبحث مفيد

ورأى صائب بما دبحته أقلام كبار رجال الدين والأدب في مصر والحجاز
قدماً وحديثاً .

وإني أحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، أن يسر لي فضلاً منه
وكرماً ، العمل على خدمة هذا الدين الحنيف ، وسلك بي مسلك الداعين
إلى الخير والهادين إلى الرشاد ، فوقفتني سبحانه وتعالى لإخراج هذا
الكتاب المبارك ، الذي جاء بحمد الله تحفة نادرة المثال ، كما وفقني
سبحانه وتعالى لإخراج أخويه من قبله ، وهما : كتاب الدين والصلاة ،
وكتاب الدين والحج على المذاهب الأربعة . وقد قرّظته مشيخة الأزهر
الجليلة . وقد عمّ نفعهما وعظم عند الناس موقعهما .

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما قصدت فإن أصبت فالفضل
لله وحده ، وما أتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

عبد الكريم

القاهرة شبرا شارع الكرجي ٢٤
مكة المكرمة شارع المسعي

مكتوب

إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ، ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ، ويجعله مثالا يحتذيه . فإذا لم يفعل ذلك ، كان مثله كالرجل الذي زعموا أن سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله . فعلم به فقال : والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ، ولا أذعره ، ولا أعلمه . أتى قد علمت به ، فإذا بلغ مراده قمت إليه ، فنغصت عليه أمره . ثم إنه أمسك عنه . وجعل السارق يجمع كل ما وصلت إليه يده حتى جمع كل ما في البيت من متاع ، وغلب الرجل النعاس فنام ، وفرغ اللص مما أراد . وأمكنه الذهاب . واستيقظ الرجل ، فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به . فأقبل على نفسه يلومها . وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص ، إذ لم يستعمل في أمره ما يجب .

فالعلم لا يتم إلا بالعمل ، وهو كالشجرة ، والعمل به كالثمرة . وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ، وإن لم يستعمل ما يعمل لا يسمى عالماً . ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به ، سمى جاهلاً ؛ ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها ، من ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد جهله . ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره ، كان كالمرضى العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقله . ثم يحمله الشره على أكل رديئه ، وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نصير

الحمد لله ، نستعينه ونستهديه ، ونتوب إليه ، ونستغفره . نشكره
ولا نكفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهتد
الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله
بالحق بشيراً ونذيراً ، بين يدي الساعة . فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ،
ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من
ربه . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته .
وجازه عنا أفضل ما جازيت نبياً عن أمته (أما بعد) فقد أراد أخى
الحاج عباس كرامة من زمن غير قريب وضع كتاب الدين والشهادة
يشتمل على تحديد الدين ، وأركانه ، وشعبه ، وما يلزم أن يكون عليه المزمع
حتى يكون ذا دين يعرف قدره ، ويذب عنه ، ويحمي حماه ، ويشتمل
على الشهادة ، وما يتعلق بها من توحيد كامل يخلو فيه قلب المؤمن
من كل شيء إلا من ربه ، يفرد به بالقصد والطلب ، ويتوجه إليه في

شدته ، ورخائه ، ويعرف أن كل ما سواه مقهور مربوب له ، وبهذا يعرفه حق المعرفة ، ويعبده حق العبادة ، ويشتمل على الشهادة الثانية وهي الشهادة لمحمد بالرسالة التي لا يصح للسلم إسلام ، ولا دين إلا إن جعلها طريقه ، ونوره ، وهاديه ، حتى يكون في اتباعه على بصيرة ، وفي دعوته إلى هذا الدين على بينة .

وقد حدثني أخي الحاج عباس بما اعتزم أن يقوم به حيال هذا الكتاب المراد تأليفه ، وأطلعني على كتابة من فصول في هذا الكتاب وعرض على معاوته ، فكتبت بعض الموضوعات ومراجعة ما حرره هو بنفسه أو اختاره من مقالات الكتاب المشهورين ، فاستخرت الله تبارك وتعالى في ذلك فكانت الخيرة ، ورأيت إجابته إلى ما طلبت ، لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى ، وكتبت بعون الله وحده ما كتبت وراجعت ما راجعت وأحمد الله تبارك وتعالى على ما أنعم ووفق إذا لم يكن ، فيما كتبت ، ولا فيما راجعت شيء مكذوب ، ولا شيء ضعيف ولا ما يجافي سنة النبي صلى الله عليه وسلم بحال ، وأحمد الله أيضاً إذ وفق فجعل من هذا حجة قائمة ، وسلطاناً بيناً ، يناهض الشر والباطل ، ويشد أزر الحق ، ويدعو إلى الصراط المستقيم .

وبهذا يكون ذلك الكتاب فريداً في بابه ، وحيداً في اتجاهه من بين ما كتب في هذا العصر الحديث .

وأشكر لأخي الحاج عباس كرارة حسن ظنه بي ونشاطه المتتابع في
إخراج الكتاب تلو الكتاب وعمله دائماً لا يثنيه عن عزمه نصب
ولا إرهاق، مع تجنب الزلل والتوفيق. وإصابة وجه الحق والصواب
من أقرب طريق، غير مبال بما يلقاه من متاعب جسيمة ونفقات مادية،
ولا بما يضيع من وقت غال ونفيس لوجه الله والعلم ولنفع المسلمين، كما
أحمد له تواضعه لعرضه كل مؤلفاته قبل الطبع وبعده على ثقات العلماء
زيادة في تحرى الصواب، وحتى يمسك بزمام الصالحات من الكلمات،
والموضوعات، وقد قرأت بعض ما كتب وجمع فأعجبنى منه الكثير،
ورجوت الله أن يساعده ويشده عضده، إنه ولي الهداية والتوفيق.

أحمد أحمد القط

الواعظ العام بالقطر المصري

ومندوب الأزهر للتدريس بكلية الشريعة

والحرم الشريف بمكة

٢٠ من رجب سنة ١٣٧١

١٥ من أبريل سنة ١٩٥٢

القسم الأول

كبير

ما هو الدين؟

إن لفظة دين قديمة جداً كقدم مسنها وشائعة بين كل الطوائف البشرية سواء حاضرها وباديها وحشيتها وتمدنها، ولكنهم لم يدركوا معناها على الوجه الحقيقي الذي جاءت به الشرائع الإلهية، والذي ينطبق على رحمة الخالق وعنايته. ومن يتدبر التاريخ يرى الشعوب المختلفة قد تطورت أطواراً كثيرة في فهم معنى هذه الكلمة على حسب تطور العقل البشري في فهم المعقولات.

كان الأقدمون لا يعرفون الدين إلا أنه مجموع احتفالات عمومية تضحي فيها الحيوانات أو أسرى الحروب إرضاءً لمعبوداتهم وتسكيناً لغضبهم. ثم لما ترقى المدارك الإنسانية ونمت فيها الغريزة العقلية بطرو العلوم والفنون أخذ معنى الدين ينبجلى شيئاً فشيئاً ويقرب رويداً رويداً من المعنى المراد لله، والذي جاءت الأديان تأمر الناس بفهمه كذلك. نحن هنا قبل أن نتكلم على ماهية الدين بالمعنى المراد للإسلام يجب علينا أولاً أن نتكلم على ما يفهمه علماء أوربا من هذه اللفظة، بعد أن فحسوا العلوم فحساً وأوسعوا الكون بحثاً عن نواميسه وتنقيباً عن قوانينه لنجعل هذا من بعض الأدلة الحسية على نظريتنا من أن كل خطوة يخطوها العالم في سبيل فهم الحقائق هي تقرب ظاهر إلى الإسلام فنقول: إن علماء أوربا بعد أن دخلوا في كل دور يمكن أن يدخله الإنسان

المعرض لكل أصناف الفتن العلمية (ومن يطالع تاريخ العلم من أول
سقراط للآن يرى العجب) عادوا الآن حيث الهدوء شامل وبدر العلوم
كامل فاعترفوا عن بينة بأن لهذا الكون خالقاً قادراً حكيماً متصفاً بكل
صفات الكمال ومنزهاً عن أقل ما يشعر بالنقص . وأنه جل سلطانه وضع
الكون على نظام مخصوص يستطيع من ينظر إليه بروية أن يستنتج منه
تلك الصفات العليا استنتاجاً محسوساً ، وأن يتعلم منه أموراً يغنى الجرى
عليها مع قلتها وسهولة فهمها عن ألوف القواعد والتعاليم التي كانت تلقى
على الناس فيحنون رؤوسهم خضوعاً لها ، ولكن على غير فهم لحكمتها
ونتايجها . ثم رأوا بالاستقراء لنظام الكون ونواميسه أن الخالق جل
شأنه يتعالى علواً كبيراً عن الاحتياج لكائن من صنع يده بل هو غني
بذاته عن كل ما عداه . ثم قالوا إن غناه هذا لم يمنعه عن الاهتمام
بمخلوقاته اهتماماً يدل على عظيم رحمته وسعة رأفته وأقل نظرة في الوجود
تدل على صدق هذه النظرية دلالة حسية .

أنظر إلى أصناف النباتات والحيوانات من أدناها إلى أعلاها ترى
آثار هذه المرحمة الكبرى تتجلى للإنسان تجلياً يبعثه رغم أنفه إلى محبة
ذلك الخالق العظيم ، فإنه جل سلطانه لم يترك كائناً من الكائنات إلا
ووهب له ما يقيم له أود حياته ويحفظ بقاءه ، وما يدفع عنه البوائق
والجوائح ، إلا ما يستلزمه نظام الكون ويكون في حصوله أثر مرحمة أسمی
ورأفة أعلى بمجموع هذا الوجود . ثم إن إلهاً هذا شأنه لا يحمل الإنسان

من العبادة إلا ما فيه حكمة بالغة وفائدة عظيمة لذات الشخص وبنى نوعه
وسائر أجزاء الطبيعة . لأن مجرد التدبير في جميع أنواع الكائنات يدلنا
دلالة واضحة على أن خالقها لم يخلقها وهو مرید إفسادها وملاشاتها بل
خلقها وأراد إصلاحها وبقاءها ، وما يدل على ذلك إبداعه فيها القابلية
للترقى والتدرج لدرجة حددت في سابق علمه . ولما كان الإنسان لا يفتقر
في النسبة إلى الله عن سائر الكائنات الأخرى بل يزيد عليها في كونه نهاية
الإبداع وغاية الاختراع فيكون بالأولى خاضعاً لناмос الرقى والتدرج
وقابلاً له أكثر من سواه .

هذا هو الواقع فإن من يتأمل في مبلغ الرقى الذي حصله الإنسان
من أول نشأته إلى الآن يتحقق أن الخالق جل جلاله وهبه من الخصائص
ما يستمر به ترقيه وتدرجه إلى نقطة لم يصل إليها الفكر البشري للآن .
ثم قالوا وبما أن أفعال الله مجردة عن البحث والتناقض فيجب أن تكون
تلك العبادة المرغوبة لله تعالى موافقة للنواميس الثابتة السائدة في الكون
كله وملائمة للأموال والإحساسات المغروسة في جيلة النوع الإنساني .
فاستناداً على هذه البداية العلمية التي لا يصح الامتراء فيها بنى طائفة عظيمة
من علماء أوروبا ديانتهم الطبيعية ، وإليك ما قاله في هذا الموضوع أحد
نصرائها وهو الفيلسوف الشهير (جول سيمون) قال : « إنا نوّدي في
أثناء هذه الحياة الواجب الذي رسمه الله تعالى لنا تحت رعايته وعنايته
وعند ما ينتهي بقاؤنا فهو إما أن يثيبنا أو يعاقبنا ، ثم ذكر الأسباب التي

تقتضى الإثابة والعقوبة فقال : أما الأمر الذى يقتضى المثوبة الحسنة فهو طاعة الإنسان لقانونه الخاص وعمله للخير . أما قانون الإنسان الخاص فهو حفظ ذاته وترقية خصائصه المودعة فيه . ثم هي محبة وخدمة إخوانه ، ومحبة وعبادة خالق ذاته . ولكن ما هي الطريقة التى يعبد بها الإنسان ربه ؟ إن أداء الواجب وعمل الخير هو عين العبادة والحب ، والعمل والإخلاص هي نفس العبادة ونفس الصلاة ، والإخلاص للوطن هو عين خدمة الله تعالى . هذه هي الدنيا الطبيعية ، وهذه هي العبادة الطبيعية . كل أصول مذهبنا هذا واضحة لا رموز فيها . أما أصوله فهي الاعتقاد بوجود إله قادر على كل شيء ولا يغيره شيء . خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة ، ووجود حياة أخرى تؤدى لنا كل وعود هذه الحياة وتكافئ الظالم بالجزاء الأوفى . هذا هو اعتقادنا . فأما صلاتنا فهي أن يكون قلبنا مملوءاً بمحبة الله تعالى ومحبة الإنسان ، وأن تكون لنا إرادة ثابتة فى أداء الواجب وخدمة إرادة الله تعالى بعمل الخير والبر .

وهنا نستدرك فنقول : إن أصحاب هذه الديانة لا يكرهون العبادة الجسمية مطلقاً كما يؤخذ ذلك من كلام (جول سيمون) المشار إليه . إلا أنهم فقط لا يحتفلون بعبادة جسمية لا يكون من نتائجها فائدة أدبية تذكر ، فهم يريدون أن تكون معتبرة وسائل لإحياء القلوب وتطهيرها من أدناسها لا أغراضاً قائمة بنفسها مجردة عن كل غاية . قال

(كانت) الفيلسوف الطائر الصيت : « العباداة الخارجية لا تكون رديئة إلا إذا اعتبرت أغراضاً لا وسائل . وهي يمكن أن تكون نافعة مفيدة إذا لم تعتبر إلا وسيلة لإيقاظ وتقوية العواطف الفاضلة في النفس البشرية .»
 أما نحن فنلخص من كل هذه الأقاويل أربعة أمور مهمة هي مذهب علماء أوربا في الدين وهي : (أولاً) الاعتقاد بأن الله غنى عنا وعن أعمالنا وأن ما نعمله من الخير لا نتيجة له إلا منفعتنا الخاصة . (ثانياً) أن الله تعالى رحيم بالإنسان ويود صلاحه ولا يكلفه بالعبادة إلا لفائدة نفسه (ثالثاً) أن العبادة يجب أن تنطبق على النواميس الثابتة للحياة وتلائم الطبيعة البشرية لا أن تعارضها وتسعى في ملامشتها . (رابعاً) العبادة الجسمية يجب أن تعتبر وسائل لتطهير النفوس وتهذيبها لا أغراضاً مطلوبة لذاتها .

نقول إن هذه الأربعة الأمور التي لم يبلغها العقل البشري إلا بعد أن شابت ناصية الكرة الأرضية وجعلت علماء القرن التاسع عشر يتيهون بها عجباً ويميلون طرباً ليست هي إلا شعاعاً من الديانة الإسلامية وقطرة من بحرها الزاخر . ونحن لأجل زيادة الإقناع نأتى هنا على النصوص الشريفة التي تنطبق على هذه الأمور الأربعة مرتبة على حسبها فنقول :

(أولاً) قال تعالى : « وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » . (ثانياً) قال الله تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

الْعُسْرُ ، وَقَالَ تَعَالَى : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
 وَلَكِنْ لِيُطَهِّرَكُمْ وَيُلَيِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . (ثالثاً)
 قَالَ تَعَالَى : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » ، وَقَالَ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا
 عَلَيْكُمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْخِرْجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
 مِنْهُمْ » ، وَقَالَ تَعَالَى « يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا » .
 (رابعاً) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ لَمْ تَنْهَ صَلَاتَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْهُ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « كُمْ مِنْ
 صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » .

هذه هي عقيدتنا في فهم الدين . وقد رأيت أنها مطابقة للعقل والعلم
 تمام الانطباق ومتفقة مع النواميس الثابتة كمال الاتفاق . ولما كانت
 مطاعن علماء أوروبا على الأديان لم تتوجه إليها غالباً إلا من هذه الوجهة
 الرئيسية التي يبنى عليها سائر قواعد الدين ، فقد حق لنا أن ننادي بأعلى
 صوتنا : إن الإسلام أعلى وأسمى من أن يناله سهم من سهام ذلك التنديد
 الشائن ، وأكبر وأجل من أن يلحقه طعن الطاعن .

هذه الأربعة القواعد يعتبرها علماء الديانة الطبيعية أركاناً تبنى عليها
 كل قاعدة قانونية يكون في العمل بها تقدم الإنسان إلى النقطة الكمالية

التي أعد هذا النوع لبلوغها . ولما كان العلم هو المنوط إجماعاً بتحسين تلك القواعد المرقية للإنسانية فهم يعتبرون كل قاعدة يتوصل إليها من هذا القبيل كأنها قاعدة دينية ، في الجرى على سنتها رضاه الخالق والقيام بطاعته .

أما المرويات القديمة ، والأساطير التي مضى عليها ألوف من السنين مع ما استلزمها من قواعد الدين فقد صدفوا عنها وهجروها هجراً كلياً . قال (كانت) : « الديانة الحقيقية الوحيدة لا تحتوى إلا على قوانين أعني قواعد قابلة للتطبيق ، نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة وتكون مجردة عن الأساطير والتعاليم الكهنوتية » كأن (كانت) يريد أن يذكر المسلمين بقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

الدين

الدين هو ذلك النور المبين والهدى الحكيم الذى أكرم الله به العالم من أول ما خلق الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، وقد شهدت به الفطر ونطقت به الكتب ودلت شواهد الأعمال على أن لا حياة لأمة بغير دين . وقد حدثنا التاريخ أنه ما من أمة تخلت عن دينها ورسول ربها فلم تمض عليها القرون الكثيرة حتى عمتها الفوضى وشماتها وتخبطت في دياجير مهلكة ، وكان من تقدمها المزعوم معاول قضت بها على حياتها فأصبحت كأن لم تغن بالأمس . وفي التاريخ القديم والحديث صور رائعة دلت على ذلك ، فهوؤلاء المسلمون كانوا قلة بالنسبة إلى غيرهم من الأمم ولكن هذه القلة تعرف ربها ودينها لا تحيد عنه فى قليل ولا كثير ، ولهذا دوخت العالم وكسرت شوكة القياصرة والأكاسرة وفتحت الفتوحات حتى كانت فتوحاتها فى قرن واحد لا تتيسر فى قرون لغيرها من الأمم التى هى أوفر منها مالا وأكثر عدداً وأقوى استعداداً ، ولا غرابة فى أن ينتشر الدين على هذا الانتشار العجيب فى أقل من قرن بصورة لم تعرف بعد دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الدين هو الذى يجعل من الضعف قوة من القلة ما يغلب الكثرة ويفوقها كما قال الحق جل شأنه ، يا أيها النبي

حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا . فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ
مَعَ الصَّابِرِينَ .

فتأمل رعاى الله وإياك كيف جعل الله الغلبة على الكفار والظفر
بهم والسلطان للمسلمين والأولوية لهم ، لأن هؤلاء المسلمين وإن كانوا
قليلى العدد إلا أنهم صابرون عاملون متمسكون متدينون ، لا يزيدهم
التألب عليهم إلا إيماناً وتثبيتاً . وهذا هو الذى يجعلهم فى قلة عددهم
وعتادهم أقوى من خصومهم . وفى هذا يقول الله جل شأنه :

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ،

• • •

وفى التاريخ الحديث شواهد على ذلك فهى ذى فرنسا التى

87407 ~~87407~~

عرفت بالعلوم والمعارف والمخترعات لم تستطع الوقوف في وجه ألمانيا إلا أقل من شهر ثم انهزمت هزيمة منكرة، ولم تكن أسباب الهزيمة إلا لانصرافها عن الدين وإخلاقها إلى الشهوات، ولم تكن متجنين عليها في ذلك الحكم وإنما هي كلمة حاكمها العام في ذلك وقائدها الذي تولى أمرها بعد هزيمتها وانتشلها من هودتها.

ولقد انصرف المسلمون عن دينهم فأصبحوا أذلة بين الأمم ضعفاء لا يقام لهم وزن، ولا أدل على ذلك شرذمة من سفلة العالم ضرب الله عليها الذلة والمسكنة ومسح أجدادها قرده وخنازير تكاد تغلب تلك الشرذمة التي لا وطن لها ولا دولة على دول الإسلام مجتمعة، وهذا هو مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليدسلن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» وكم دعا المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها؛ دعا خيارهم وأمن خيارهم ولكن الله لم يستجب لهم، بل تغلب هؤلاء الأشرار والأسافل عليها. ونحن نرجو أن يشوب المسلمون إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم حتى يكرمهم بالنصر العاجل، ويحق الحق ويقطع دابر الكافرين، ولولا الدين ما كان الإنسان إنساناً وإنما كان كعده الأول بدائياً يعيش كما يعيش الحيوان، فالدين هو الذي أشرق على إنسانيته فنهاها وكلها

وزكاتها ، فعرفت به الحلال ، والحرام ، والخير ، والشر ، والحق ،
والباطل ، والهدى ، والضلال ، والحسن ، والقيبح ، والنافع ، والضرار .
عرف به الإنسان ما يحفظ نفسه ، وعرضه ، وماله ، وما يحفظ به
شرفه وشرف أمته .

عرف به كيف يعامل ربه ، ويعامل الناس ، وكيف يقوى أو اصر بيته
بينه وبين زوجته وأولاده ، وكيف يربط بين الأفراد والجماعات والأمم
برباط المحبة والوئام « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وكونوا
عباد الله إخواناً ، « لو أنفقتم ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين
قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم » ، « اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً فاتقوا الله
الذي تساءلون به والأرحام . (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)
وبالجملة فالناس بغير هذا الدين لا يستقيم لهم أمر ، ولا يكون لهم وجود
يذكر ، وبهذا تفكر العقول المستقلة الحرة حقاً في الأمم التي أعلنت
بعدها عن الدين في وجوب العودة إلى تعاليم الدين ، وإلا فلا ينتظر
الناس إلا أوخم العواقب في شر مصير .

من أى شىء يؤخذ الدين

إن دين الله الذى رضيه لعباده لا يمكن أن يؤخذ إلا من منبعه
الأصلى الذى ضمن الله له العصمة ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما الكتاب الكريم فقد قال الله
فيه : « وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ
تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ
لَغَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا سِنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ،
وَقَالَ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، وَقَالَ « قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَنَهَى الْخَلْقَ
عَنْ اتِّبَاعِ غَيْرِهِ ، فَقَالَ « وَاتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَاتِبَةِ
 وَالْكِتَابِ وَيَسِيرُونَ عَلَى الْبَرِّ وَيَصْعَقُونَ فِي الْبَحْرِ وَيَنْزِمُونَ حَيَاتِهِمْ وَشؤونَهُمْ عَلَى هُدًى
 وَنُورٍ هُمُ الْمُبَشِّرُونَ النَّافِعُونَ الْمُهْتَدُونَ الْعُقَلَاءَ الْخَالِقُونَ بِأَسْمَاءِ أَصْحَابِ
 الْعُقُولِ السَّالِمَةِ قَالَ اللَّهُ ، فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ
 فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ،
 ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَفْتَحُونَ آذَانَهُمْ وَأَعْيُنَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ لَوْحَى الْقُرْآنِ وَنُورِهِ
 فَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا بِهِ وَلَا يَبْصُرُونَ إِلَّا بِهِ وَلَا يَفْكَرُونَ إِلَّا عَلَى مَقْتَضَاهُ ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ
 قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
 بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ
 الْقِيَامَةِ اعْتَرَفَ الْكُفَّارُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَرَّةَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ وَلَا يَفِيدُ
 الْإِعْتِرَافَ بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقَ الْأَصْحَابُ السَّعِيرِ . وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
 مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقَ الْأَصْحَابُ السَّعِيرِ .
 هَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ الْكَافِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَعَلَّهَا أُبْلَغُ فِي بَابِهَا مِنْ
 شَهَادَةِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، بَلْ هِيَ أُبْلَغُ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَالْإِمَامُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ
 وَجْهَهُ يَقُولُ (لَشَدَّ مَا شَهِدَ أَمْرًا عَلَى نَفْسِهِ) .

وَيُبَيِّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْفِتْنَ سَتَضْرِبُ بِكُلِّهَا

هذه الأمة، فهي حكمة جامعة تشمل الفتنة في الدين والدنيا من سياسية
 واجتماعية واقتصادية في محيط الأمة وداخلها أو في محيطها الدولي
 الخارجي، وبين أنه لا مخلص ولا نجاة ولا سلامة من هذه الفتن إلا
 بالرجوع إلى كتاب الله الذي أنزله رحمة وبشرى كما قال « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ». يقول
 المعصوم صلى الله عليه وسلم في هذه الفتن والمخرج منها « إِنَّهَا سَتَكُونُ
 فِتْنٌ قِيلَ فَمَا أُمْرِجَ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ
 وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ
 جِبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ
 الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ
 بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَزُولُ بِهِ الْأَلْسُنُ وَلَا تَنْقُصُ عَجَائِبُهُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَاهُ
 مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا
 إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

وأما سنة النبي صلى الله عليه وسلم فحسبنا من ذلك أن الله أمرنا
 الاستماع إليها والعمل بها قال جل شأنه « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَقَالَ (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) وَجَعَلَ اتِّبَاعَهُ الْأَمَارَةَ الصَّادِقَةَ عَلَى حُبِّ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْعَبْدُ أَهْلًا لِأَنَّ يَحِبُّهُ رَبُّهُ ، قَالَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وَيَبِينُ اللَّهُ أَنْ الْخُرُوجَ عَنْ أَمْرِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ بَابٌ إِذَا فَتِحَ عَلَى عَبْدٍ أَوْ أُمَّةٍ فَتَحَتْ مَعَهُ أَبْوَابَ الْفِتَنِ الَّتِي لَا مَهْرَبَ مِنْهَا وَلَا مَفْرَوكَانَ مِنْ ورائِهَا الْعَذَابُ الْأَلِيمُ .

وَالْعَنْوَانُ الصَّادِقُ لِلَّذِينَ يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ إِنَّمَا هُوَ التَّاسِي بِهَذَا الرَّسُولِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ، وَالتَّأْدِبُ بِآدَابِهِ ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ ، وَهَذَا يَقُولُ اللَّهُ « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ » .

وَيَعْجِبُنِي فِي ذَلِكَ قَوْلُ هَذَا النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الْكَامِلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَوْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي » ، وَهَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ يَجِبُ أَنْ تَنْتَبِهَ إِلَى مَسْأَلَةٍ هَامَةٍ رُبَّمَا خَطَرَتْ بِبَالِ الْقَارِيءِ ، وَهِيَ تَقْلِيدُ الْمَذَاهِبِ وَاتِّبَاعُ السَّابِقِينَ بِإِحْسَانٍ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ ، نَحْنُ لَا نَدْعُو إِلَى الْخُرُوجِ عَنْهُمْ ، وَلَا إِلَى الْاجْتِهَادِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهُ ، وَقَدْ سَبَقْنَا الْأُمَّةَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَاجْتَهَدُوا وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ كُنُوزِ السَّنَةِ مَا فِيهِ خَيْرٌ لِلنَّاسِ وَسَعَادَةٌ لَهُمْ ، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ الْأَجْرَ لِلْمُجْتَهِدِينَ وَجَزَاهُمْ اللَّهُ عَنِ هَذَا الدِّينِ خَيْرَ الْجِزَاءِ .

أركان الدين

قال الله تعالى في كتابه الكريم : « إن الدين عند الله الإسلام ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، . وقال رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

جاءت الشريعة الإسلامية السمحاء لتكون الأمة وتوحد صفوفها وتجمع شملها ، وتقوى رابطتها ، كما تكفلت بتهديب الفرد ، وتطهير النفس ، والترفع عن الدنيا والدنس ، حيث قال تعالى في محكم كتابه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، . والأمة الإسلامية لا يحويها صعيد واحد ، ولا يحصرها إقليم واحد فحسب ، بل هي تعمر مشارق الأرض ومغاربها ، فقال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، . ولما كان رسول الله ﷺ هو الوصلة العظمى والعروة الوثقى بين العبد وربّه ، كما جاء ذلك في كتابه الكريم في عدة مواضع ، وأمرنا

أن نأتمر بأوامره ، ونتجنب نواهيه حيث قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ولقد كان رسول الله ﷺ عند حسن ظن ربه به ، حيث امتدحه تعالى في القرآن الكريم فقال : « وإنا لعلی خلق عظیم » ، فأمرنا ﷺ أن نتبع ما جاءت به الشريعة السمحاء كما قال له ربه عز وجل « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » ، وبين لنا فحوى هذه الرسالة العظيمة والأمانة القيمة التي نزلت عليه بطريق الوحي « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ، لذلك علينا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قواعد الدين الاسلامی الخمس وهي :

« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .
وسنشرح فرائض وسنن كل ركن من هذه الأركان الخمسة كل منها على حدة .



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ الْكُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمَلِكِ وَأُولُو الْعِلْمِ فَإِنَّمَا بِالْقِسْطِ إِلَهُ الْإِلَهِ وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

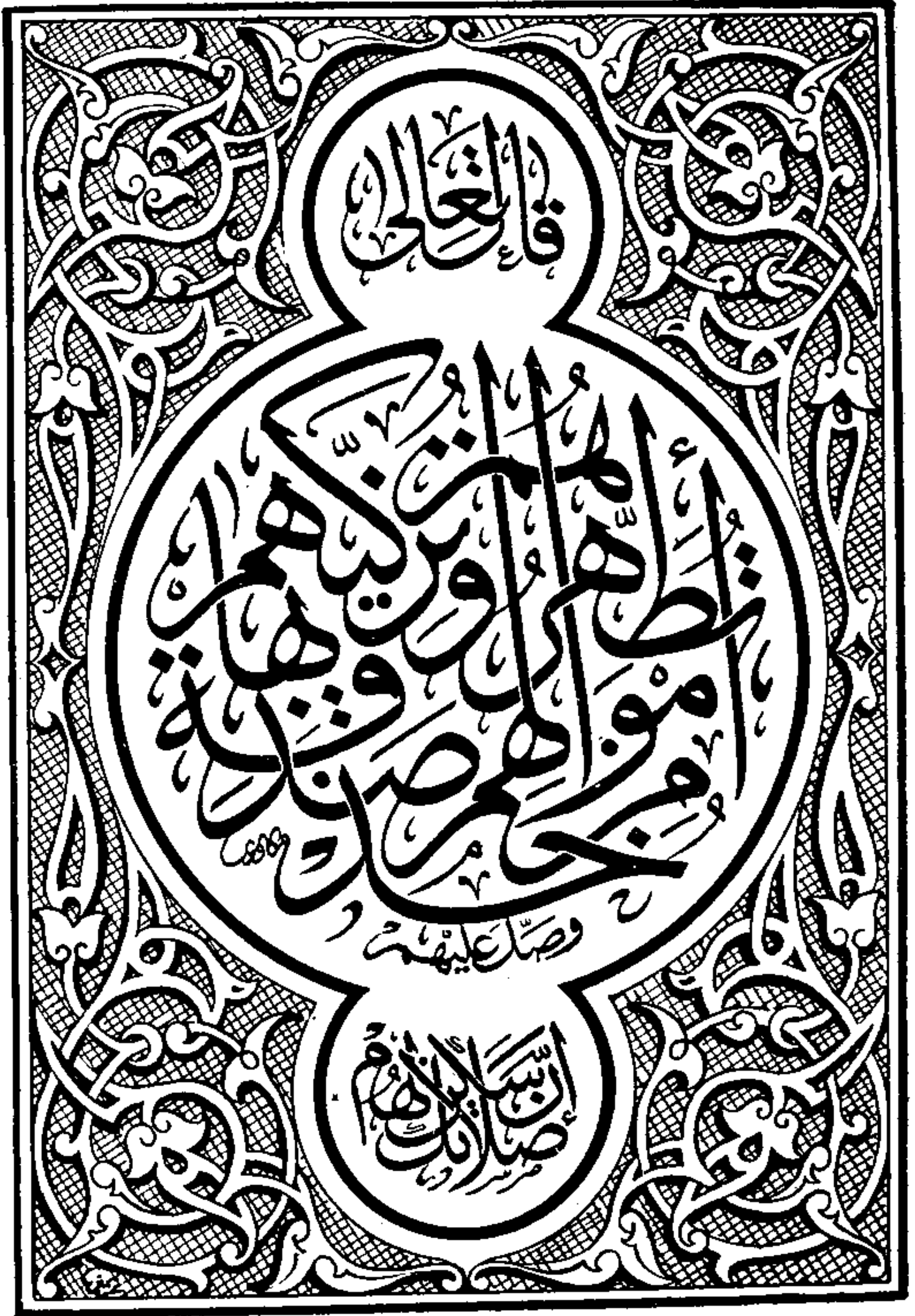
أخرج الشيخان عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

« بِنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَالْحُجُّ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَأَوَّلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ هِيَ (الشَّهَادَةُ) فَأُولَى قَوَاعِدِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ إِعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقِيقِي تَجِبُ عِبَادَتُهُ وَيَصُدُّ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ الْخَوَاصِّ وَتَحْصِيلِ الْمَهْمَاتِ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَدْرَهُ تَقْدِيرًا ، وَيَبْدُوهُ وَحْدَهُ الْأَمْرَ وَالتَّدْبِيرَ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . وَكَذَلِكَ الْإِعْتِرَافُ بِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ اخْتَارَهُ رَبُّهُ وَاصْطَفَاهُ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ وَأَرْسَلَهُ لِهَدَايَةِ الْبَشَرِ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، لِإِرْشَادِهِمْ لِمَصَالِحِهِمُ النَّافِعَةَ وَإِعَاثَتِهِمْ عَلَى شُرُورِ الْحَيَاةِ وَتَعْرِيفِهِمْ بِالْوَحْدَانِيَّةِ لِقُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَقْرِيرِهِمْ بِالرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ إِذْ هُمَا لَا شَكَّ أَسَاسَانِ لِلْإِعْتِرَافِ بِالْحَقَائِقِ وَمَبْدَأَانِ لِلْهَدَايَةِ الْحَقَّةِ ، وَلِذَلِكَ بَدَأَ بِهِمَا الرُّسُولُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .





وثاني قواعد الدين الصلاة ، وهي دعاء وابتهاال وخشوع وامثال
وتوثيق لصلة العبد بربه فيفيض عليه من خيره ، وتطهر نفسه من أدران
الماديات وشوائبها ، وتقوى على النهوض بأعباء الحياة وتكاليها وتعوده
الإخلاص ، وتبعده عن النفاق ، وتبعث فيه الصحة والنشاط ، وتمرنه على
أداء المأمورات في مواعيدها المفروضة ، يقرأ المصلي في الصلاة القرآن
وقلبه خاشع وذهنه حاضر ، فيتعلم من علومه ويهتدى بهداه وتصفو
نفسه ويستنير عقله ، ولهذا كانت الصلاة عنصراً أساسياً في بناء الدين
وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ .



قال الله تعالى في كتابه الكريم

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

وثالث قواعد الدين : الزكاة : وهي قليل من مالك أيها المسلم ، زائده عن حاجتك تخرجه للفقراء والمساكين شرعت لتحرر به رقاب الأسرى والمعوزين وإغاثة المحتاجين وقضاء الدين عن المدينين ، وتأليف القلوب نحو هذا الدين دين الله المتين والاستعانة على نشر الدين وحفظ أهله ودياره بالجهاد في سبيل الله ، وهي خير وسيلة لإصلاح المجتمع ونشر الرخاء ودفع الأضرار والمصائب التي تجتاح العمران وفيها طهارة وزكاة للأموال ونشر الحب بين الأغنياء والفقراء وبعد النفس عن ربة البخل والشح ومطامع النفوس وتعلقها بمتاع الدنيا الفاني القليل .

وقد شرعت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة وهي واجبة على المسلمين الموسرين فذكرها مقترنة مع الصلاة في كثير من آيات الذكر الحكيم تأكيداً لطلبها وتنوياً بفضلها العظيم .



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ

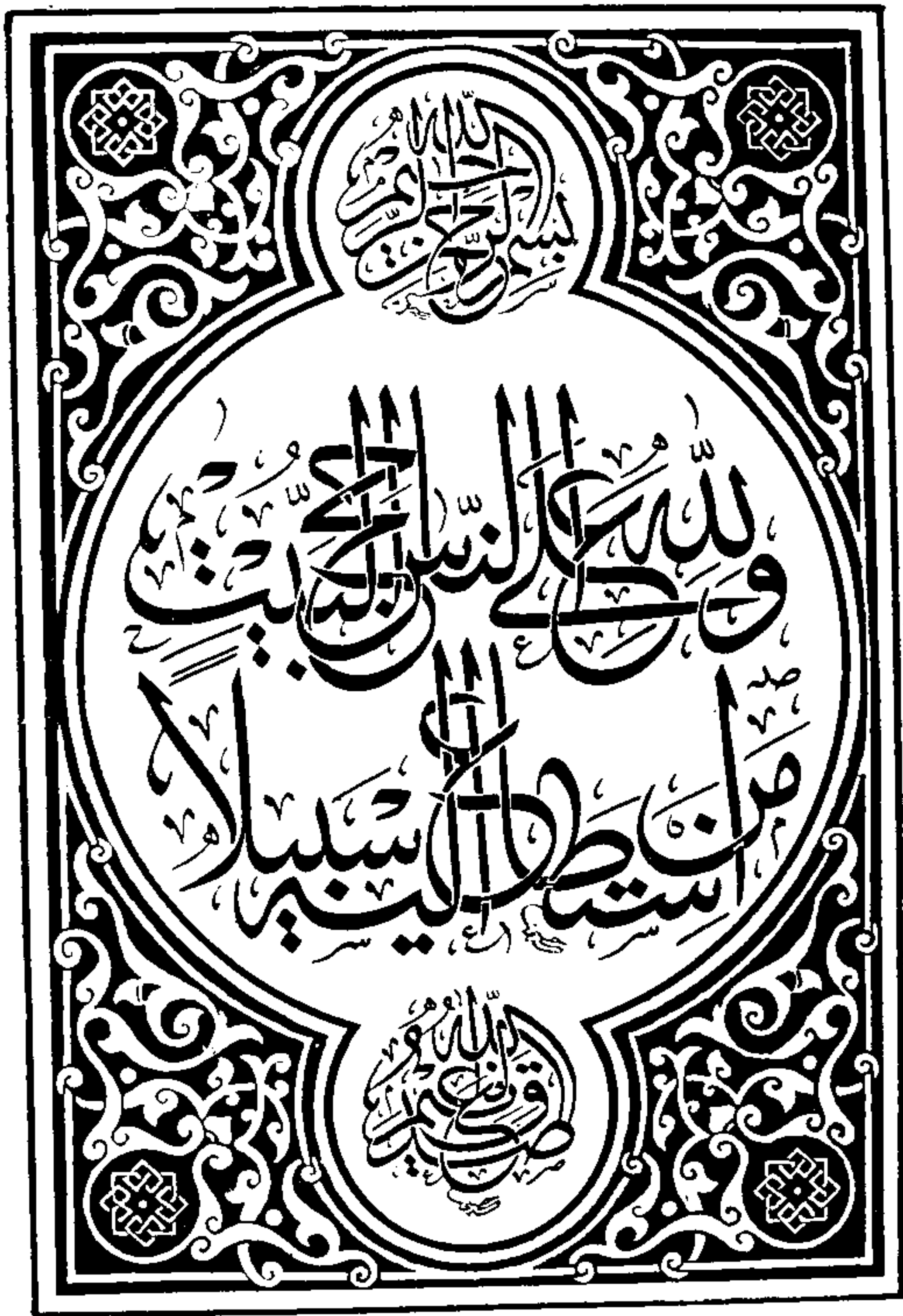
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْصَبُوا
كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ

ورابع قواعد الدين : صوم رمضان : يطهر المعدة بما علق بها من بقايا الطعام ويريحها من العمل عدة أيام وينمي في نفسك الشعور بحال الفقراء والمساكين إذ به تذوق ألم الجوع والظما فتذكر إخواناً لك بأئسين تساعدهم بمعونتك وبرك وتذكر فيك روح التفكير ، إذ البطنة كما يقولون تذهب الفطنة ، وهو يذكرك بربك في كل حين فتقرأ القرآن ولسانك رطب بذكره وأنت قائم بامثال أمره .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله
بذلك اليوم عن وجهه النار سبعين خريفاً » .



قَالَ تَعَالَى فِي تَابَةِ الْحَيْكَةِ
وَلَدِّ عَدَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ الْبَيْتِ ط

وخامس قواعد الدين : الحج إلى بيت الله الحرام : فتذهب إلى مكة البلد الأمين الذي نشأ فيه سيد العالمين ونبت فيه هذا الدين ، وترى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، وتقوم بأعمال متنوعة كلها قربات من طواف وصلاة وسعى ووقوف بعرفات وذكر وتهليل وتكبير وتلبية وذبح قرابين وتصدق على المساكين فتهدب نفسك بالسفر وتذكر النشأة الأولى للإسلام ، والذكرى كما يقول الله تعالى تنفع المؤمنين . وتجتمع بإخوانك المسلمين عند بيت مولاك الذي دعاك وحباك وقربك وأدناك واختارك أن تكون أحد أفراد الوفد المتقبلين الذين وفدوا من كل حذب ينسلون وأتوا من كل فج من مشارق الأرض ومغاربها وتفكر معهم فيما يعيد للإسلام مجده ويعلى سلطانه وتقف مع إخوانك المسلمين .

تلك هي قواعد الدين أيها المسلم فاحرص عليها وأحسن . إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مقاصد الدين

١ - السموُّ الروحي عن طريق تقوى الله ومحاسبة الضمير حيث يقول تعالى « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

٢ - الاعتصام بحبل الله حيث يقول تعالى « وَاِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

٣ - المساواة التامة بين عموم الأفراد أمام القانون حيث يقول تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

٤ - الأخوة الصادقة القائمة على التواد والتراحم حيث يقول تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ » ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ » ويقول أيضاً « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له باقى الجسد بالسرِّ والحسنى » .

٥ - التعاون حيث يقول تعالى « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى »

ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، وحقيقة البر هي ما بينها الله في قوله
 « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن
 بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه
 ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب
 وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين
 في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك
 هم المتقون . »

٦ - القسط أو العدالة العامة حيث يقول تعالى « قل أمر ربي
 بالقسط ، ويقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
 يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . »

٧ - الإحسان حيث يقول تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان
 وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
 تذكرون وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها
 وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ، ويقول تعالى
 « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله
 يحب المحسنين » ويقول أيضاً « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر
 بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
 مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . »

٨ - الحرية الكاملة مع الطاعة لأولى الأمر في حدود الدستور الإلهي الذي وضعه ربُّ العزة لإصلاح حال المجتمع وأكمل به جميع الأديان ، ألا وهو القرآن حيث يقول تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » .

٩ - الوحدة الشاملة في كل شيء في الدين واللغة والاتجاه والمقاصد والعادات والأخلاق والثقافة والتعلم والسياسة والقوى ، وكل ما من شأنه أن يجعل الأمة متضامنة متحدة إتحاداً وثيقاً لا انفصام له .

١٠ - التزام الصدق في القول والإخلاص في القول والعمل والوفاء بالعهد والمحافظة على المواعيد والصبر على الشدائد والبر بالآباء وتوقير الكبير والعطف على الصغير مع التواضع والحلم والكرم والعناية باليتيم .

١١ - الامتناع عن الغيبة والنميمة ، والحسد ، والخيانة ، والكذب والنفاق والتجسس ، والإيقاع بين الناس والغش في المعاملة ، والتطفيف في الميزان وغير ذلك من كل ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء . . كالسكر وتعاطي الربا .

١٢ - والإسلام يدعو إلى جميع الفضائل والمكرمات ويأمر

بالعمل لتحصيل منافع الدنيا وكسب الرزق بثتى أنواع العمل المشروعة
 كالتجارة والزراعة والصناعة والأخذ بأسباب القوة وإعداد العدة
 وما يكون موجوباً للعزة وإقرار السلام والاحتياط لمنع الحرب
 ولحض الناس على النظافة والزينة وجميع الطيبات ويدعوهم إلى البحث
 والتفكير فى أسرار الكائنات وطبائع المخلوقات ويوجب تعميم تعليم
 المتعلم للعلم النافع : الأصول والعقائد والتفسير ، والحديث والفقہ واللغة .
 ويحترم قرار العلماء فى كل ما تخصصوا فيه من الطب والإدارة والاقتصاد
 وسياسته وسائر الشؤون العسكرية ، والفنية ، ويعتبر كل ما يقوم به الفرد
 فى حياته الخاصة والعامة طاعة يؤجر عليها إذا قصد بها وجه الله والنفع
 بعباده وكانت فى نطاق الشرع والطرق شرعها الله سواء أفادت نفعاً
 خاصاً أو كان من شأنها أن تؤدى إلى عمارة الكون ومصلحة العموم .
 فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « إن فى بضع أحدكم لأجرأ » .
 فقال الصحابة « أياشر الرجل لذته ويكون له أجر ؟ » قال : أليس
 إذا وضعها فى حرام يكون عليه إثم قالوا بلى . قال كذلك ، إذ وضعها
 فى الحلال فله أجر . . والإسلام لا ينهى إلا عن كل ما فيه ضرر بالعقل
 أو الجسم أو كان مناقضاً لما يرضى الله أو قصد به التزلف إلى غير الله
 كما أنه ينهى عن الاعتداء على حقوق الغير أو الإساءة إليهم ولو حتى بمجرد
 القول ويربأ بمعتنقيه عن كل أمر فيه أى مساس بالشرف ومدعاة إلى
 الانحطاط أو المنافاة للأدب وعزة النفس وعلو الهمة .

الفقه في الدين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . »

الدين الإسلامي هو الأحكام التي وضعها الله العليم الحكيم لعباده مشتملة على جميع ما تصلح به حياتهم الدنيوية والأخروية صالحة لكل زمان ومكان لأي أمة من الأمم على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام المؤيدين منه سبحانه بالمعجزات والآيات البينات .

شرع سبحانه هذه الأحكام وفصلها تفصيلاً وأقام الأدلة الناطقة الباهرة على صحتها وموافقها لمصالحهم وأردف ذلك ببيان المنافع والثمرات الطيبة العائدة عليهم ما داموا عاملين بها واقفين عند حدودها ، يعرف ذلك من مارس هذا الدين ونظر فيه نظر المتدبر المنصف الباحث عن الحق إذا تبين له اتبعه وكان به من المهتدين .

شرع لنا جلت قدرته هذا الدين وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغه لنا فأخبرنا عليه الصلاة والسلام أن علامة إرادة الله تعالى الخير للعبد أن يفقهه في الدين وأن يهبه من الفطنة والذكاء ما يوصله إلى إدراك حقيقة هذا الدين وحقيقته ، وإلى معرفة ما فيه من الأسرار والحكم البالغة وإلى العلم بأنه الوسيلة العظمى إلى نيل السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة

فن كان متفقاً في دين الله تعالى هذا التفقه، فهو ممن أراد الله به خيراً كثيراً ينال حظه في دنياه وآخرته، ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين الذين ذكروا بآيات ربهم فأعرضوا عنها وتولوا مستكبرين وضلوا عن سوام السبيل .

بعد ذلك أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وإنما أنا قاسم) إلى أنه عليه الصلاة والسلام إنما هو موزع عليهم جميع علوم الدين وموصلها إليهم مع التسوية بينهم في تبليغها لهم لا يخص فريقاً بشيء دون فريق ولا تأثير له في تعيين مقدار نصيب كل واحد منهم بل إنما ذلك التعيين لله سبحانه ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والله يعطى) أى أن التفقيه في الدين إنما هو من الله وحده لأن نعمة الذكاء والفتنة التي بها يكون التفقه والفهم الكامل إنما يقدر عليها الله تعالى دون سواه ، فهو سبحانه الذى يجعل نصيب الانسان من التفقه في الدين بمقدار معين فيكون هو قسمة ونصيبه الذى يوصله إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه كل على قدر إدراكه وذكائه الذى وهبه الله له . واعتبر هذا الرأى الذى ذكرناه بما تعلمه من أمر المعلم مع من يعلمهم يظهر لك معنى الحديث الشريف واضحاً جلياً . ألا ترى أن المعلم يلتقى على المتعلمين المسائل محدودة مضبوطة من قبل إلقاء رتب أجزاءه ترتيباً . وانسق جملة تنسيقاً وأسمعهم عبارته جميعاً وسوى بينهم في الإعلام والتعليم . وبذل ما استطاع من أساليب الإفهام والتفهم ، ثم بعد ذلك يكون حظ كل متعلم مما تلقاه عن معلمه

بقدر استعداد فطرته وذكاء عقله وصفاء نفسه الذي فطره الله تعالى عليه
 ووجهه إياه . فما أشبه هذا المعلم المخلص حينئذ بالزارع الخبير المجد ! يهيء
 الأسباب ويعد الوسائل ويمهد المزرعة ثم يبذر الحب وينثره فيها بالتساوي
 والقسطاس ثم يسلم الأمر ويفوض العاقبة إلى الله الذي جعل لكل شيء
 قدراً وخص من فضله من شاء بما شاء من نعمته وهو العليم الحكيم .

هذا : ثم إن الفقه في اللغة ، هو أن تتوصل بالأمر الذي تعلمه إلى
 الأمر الذي تجهله فتجعل الشيء المعلوم لك الحاضر في ذهنك وسيلة تتوصل
 بها إلى إحضار الشيء الغائب عنك ، فمن هذا يتبين لك أن الفقه أخص من
 مطلق العلم . ويكون معنى تفقيه الله تعالى لمن يريد به خيراً هو أنه سبحانه
 يفيض عليه من لدنه فيوفقه لصحة ترتيب ما في نفسه من المعلومات
 ويلهمه نظم ما هو حاضر عنده من صحيح المقدمات ليعبر منها إلى العلم
 بما هو مجهول له ، ويستنبط منها ما يتناسب معها ويشاركها في حكمها
 وحكمتها .

فإذا تلقى المتعلم عن معلمه مسألة وعلم حكمها فعلى قدر إدراكه الغريزي
 يكون قدر فهمه لها ، فإن كان ضعيف الفطنة فإنه يفهمها ويقف إدراكه
 عند فهمه لما ظهر له منها لا يتجاوزها إلى ما يماثلها من مسائل أخرى لم
 يسمعها من المعلم ، وإذا كان قوى الفطنة ذكياً فإنه يتخطاها ويقيس عليها
 أمثالها ويستنبط منها أشباهها والناس في ذلك متفاوتون تفاوتاً لا يتناوله
 عد ولا إحصاء .

على هذا السنن وأمثل منه وأحكم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين ويلقنهم أحكام الله تعالى التي عليه إياها ويرشدهم إلى تفهم ما أنزله عليه في كتابه العلي الحكيم . كان يلقي عليهم ما يراه أنسب بحالهم الحاضرة ويقدم إليهم ما هم أحوج إليه من غيره . يعدل بينهم في التعليم ، ويسوى بينهم في التقسيم والتوزيع ، ولكل منهم نصيب من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وتبليغه يعادل نصيب أخيه الآخر ، وهذا كما قدمناه لك معنى قسمته عليه الصلاة والسلام في قوله (وإنما أنا قاسم) أى موزع بينكم بتبليغ دين الله تعالى بالعدل وموصله إليكم على المساواة بعد أن تتساوى أنصبتهم في قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغ بينهم وفي فهمهم لها فهماً صحيحاً تتفاوت حظوظهم فيما فهموه قوة وغيرها قلة وكثرة تفاوتاً نشأ من تفاوتهم الخلقى فى الاستعداد والذكاء والأفهام ، لا من تفاوتهم فى التبليغ والتعليم والإفهام .

لذلك كان منهم من يفهم المعنى الظاهر الجلى ، فهماً سديداً من تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعداه إلى ما هو خفى عليه لأن استعداده لا يقوى على الوصول إليه ، ومنهم من إذا فهم ما سمع تأمل فيه وتدبر وجمال فكره فيه وأمعن فى نواحيه حتى يدرك ما فيه من رموز وإشارات صحيحة ويعرف ما اشتمل عليه من أسرار وحكم بالغة ، وتتجلى له المعانى التي وراء ما سمعه فيقيس الأشباه على الأشباه ويلحق النظائر بالنظائر ويستنبط من أصول دين الله الصالح لكل أمة فى أى زمان ما يوافق

المصالح الحاضرة ، مبيناً للناس ما فهمه وما استنبطه موضحاً لهم من أين استنبط وكيف استنبط لا يتهم بعد ذلك أنه شرع لهم ما لم يأذن به الله فإذا أصاب فيما اجتهد فيه قبلوه منه وله عند الله أجران ، وإن لم يصب ردوه إلى الصواب وله أجر ، وعلى الجملة كانوا في تعرف أحكام الدين واستنباط ما ينطبق على مصالحهم المشروعة الحاضرة مؤتمرين بقول الله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ) وقوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) وقوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

هذا هو الصراط المستقيم الذي سار عليه الصحابة رضی الله عنهم ، ثم اقتدى بهم في ذلك خلفهم الصالحون من التابعين وتابعيهم ، ثم جاء من بعدهم الأئمة المجتهدون فاهتدوا بهديهم واستنوا بسنتهم ، إمامهم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي جمع كل صلاح الدين والدنيا كما قال عز وجل (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) .

وكذلك كانت قدوتهم الحسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر لهم كتاب الله تعالى وترشدهم كيف يتعلمون ويعلمون كما قال الله تعالى جل ذكره (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

لعل الذين اجترأوا على الدين الإسلامي فاتهموه عمداً أو جهلاً بأنه

كغيره من الأديان إن صلح فإنما يصلح للأرواح ، أما الحياة الدنيوية الزمنية فإنه لا صلة بينه وبينها ، لأنه خلو مما يصلحها ويقومها ، وأن ما يدعيه له أنصاره فإنما هو أشياء جافة جمدوا عليها وأنها إن نسبت كما زعموها له فإنما هي أمور قدم عهدا كانت لزمان سلف وأمة قد خلت ، لعلهم تبينت لهم مما شرحناه حقيقة ذلك الدين فعلوا أنهم في اتهامهم له بذلك كانوا عن صراط الحق ناكبين ، ولعلهم اعترفوا لدين الله تعالى بأنه دين حرية العقل المشروعة وأنه سبيل للإصلاح الدنيوي والأخروي مدعنين .

نقول أما إن حقيقة الإسلام الحنيف قد تبينت لهم فإنه لا شك فيه ولا جدال على أنها ما خفيت على بصائر أولى الألباب منذ أن أشرقت شمسها وبلغت الدعوة إليها مشارق الأرض ومغاربها ، كما قال عز وجل (لا إكراه في الدين ^{قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}) . وأما أنهم علموا أنهم كانوا عن سواء السبيل منحرفين فإنه كذلك لانزاع فيه ولا مرأى ، فإن المبطل إذا أخذته العزة بالإثم فأنكر على الناس علمه بالحق فإنه لن يستطيع إنكاره على نفسه التي بين جوانحه :

وأما اعترافهم بأن دين الإسلام هو وحده دين الله الذي لن يقبل من أحد دين سواه كما قال سبحانه (^{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}) فإن كان هذا الاعتراف منهم بالسنتهم ترجماناً لما في قلوبهم فقد آمنوا بمثل ما آمنتم به وكانوا مهتدين ، وإن كان الاعتراف منهم على

غير ذلك الوجه أو لم يعترفوا أصلاً (وَلَا نَخَالُ صُدُورَهُ عَمَّنْ جَعَلَ اللَّهُ
لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً يَقْدِرُونَهَا قَدْرَهَا) فإننا لا نياس من رجوعهم
إلى الحق وقتاً ما ، فإن الباطل لا يترامى للنفوس إلا في اشتغال الحق
عنه فإذا فرغ له دماغه فإذا هو زاهق (إن الباطل كان زهوقاً) .

هذا . ثم أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العاقبة الحسنى
لمن اعتصم بهذا الدين الحنيف وأطاعه والعاقبة السوءى لمن أعرض عنه
وعصاه ، فأخبر أن هذه الأمة المحمدية التى أكرمها الله المتفضل بهذا الدين
القويم ستستمر قائمة على أمر الله ، سائرة على تعاليم دينه ، ممثلة أوامره ،
مجتنبة نواهيه ، منفذة أحكامه ، حافظة لشرائعه ، وحينئذ يكافئها الله تعالى
فى الدنيا بأن يحفظها من يخالف دينها فيرد عنها كيد أعدائها ويدفع
عنها شرورهم ولا يسلطهم عليها ، ولن يجعل الله لهم عليهم سبيلاً بل
يجعلها مهيبة ملء قلوبهم وأعينهم ، ويجعل الفوز والنصر العزيز ، ونفاذ
الكلمة ، وعزة السلطان ، وقوة الجانب لها عليهم . ولكن هذه
المكافأة الحسنى من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية إنما تكون ما داموا
معتصمين بعروة دين الله الوثقى ، عاملين بتعاليمه ، أما إذا نبذوه وراء
ظهورهم وعصوا أوامره وارتكبوا محارمه فإذا ذاك يأتى أمر الله وهو
حكمه على من يعرضون عن دينه ويعصون أوامره وينتهكون حرمانه
بالذلة والصغار والفقير والحاجة وتسليط غيرهم عليهم جزاء وفاقاً

(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وقال سبحانه (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) فليُنظر المسلمون بعد ذلك ليعلموا من أى شطر من شطري هذا الحديث المبشر المنذر هم؟ فإن كانوا من شطره الأول قائلين على أمر الله شكروه سبحانه أن هداهم للإيمان ووفقهم لما يرضيه عنهم ويرضيه عنه واستوهبوه دوام توفيقهم وشكرهم له حتى يزيدهم من فضله كما وعد الشاكرين في قوله (كَلِمَاتٍ شَكَرْتُمْ لِأَنْزِيلِنَاكُمْ) .
وإذا كانوا من شطره الثاني الذين نسوا الله فَنسيهم واستهدفوا الأمر الله يأتهم بغتة وهم في خوضهم يلعبون ، فخبر لهم أن يتقوا الله وينظروا ما قدموا لغد إن الله خير بما يعملون (ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فتمست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟) .

الإسلام دين الفطرة

قال الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

لقد تضمنت أحكام الشريعة الغراء من بالغ الحكمة ووفائها بمصالح البشر على وجه يكفل سعادة الحياتين ونعيمهما فنقول :

الأحكام العملية ثلاثة أقسام (الأول) المتعلقة بما بين العبد وخالقه و (الثاني) الأحكام الراجعة إلى الإنسان في خاصة نفسه و (الثالث) الأحكام المنظمة للعلاقات بين المرء وسائر الناس أو وسائر الخلائق .

نقسمها هذا التقسيم وإن كانت جميع الأفعال التي قصد بها الوقوف عند حد ما أذن الله فيه كانت مرضاة لله موجبة للمثوبة ، وإذا تعدى بها حدود ما نهى الله عنه كانت موجبة لسخطه ، وكذلك بعض أفعال العبادات راجعة إلى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم وبعض .

(فالقسم الأول) هو ما يعرف بالعبادات قد جمعه الحديث الشريف

• بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،
 وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان، رواه البخاري،
 وقد سميت أركان الإسلام وقواعده، فانظر إليها وأطل التأمل والتفكير
 تستجلب ما حوت من معان وحكم، ألا ترى عمادها الأول وركنها
 الأقوم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أنظر في التعبير
 بكلمة شهادة وقد عرفت في التحدث بما تعلمه علم الشهود، علماً لا شك
 فيه ولا ريبه، علماً يجعلك كأنك تحدث عما تشاهد، لا أنك سمعت
 الناس يقولون قولاً فقلته، ثم انظر إلى الشرط الأول منها تجد الاعتراف
 والإذعان بأنه ليس في الوجود من له الهيمنة والتصرف ويده وحده
 مقاليد كل شيء ومن له الخلق والأمر ومن وسع كل شيء رحمة وعلماً
 ومن يده تغليب القلوب وتصريف الأمور وتقدير الشؤون، ومن هو
 الضار والنافع وهو على كل شيء قدير، سوى واحد أحد هو الله
 لا شريك له في الملك وليس لأحد معه في الأمر شيء، فلا ينبغي أن
 تخضع النفوس إلا له ولا ترجو ولا تخشى سواه، أنظر كم فيها من إطلاق
 نفس الإنسان من العبودية للإنسان به الجماد والحيوان، أنظر، كم فيها
 من السمو بالنفس إلى مرتبة السيادة والاستقلال والرجوع إلى من
 هو مرجع الجميع، لا فضل لأحد على أحد إلا بالزلفى لديه والتقرب
 إليه.. أنظر، كم فيها من الإشعار بأنه هو الإله الذي يعلم السر وأخفى،
 ويعلم خواطر النفس وما تخفى الصدور، الذي يطلع عليك في خلوتك

ويعلم دخيلة نفسك وهو قابض على ناصيتك ومالك زمام قوتك وأنت الغارق في نعمته السابح في بحر رحمته (وما بكم من نعمة فمن الله) (وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير) ، أنظر وتأمل كثيراً ثم حدثني بالله أليس من أكبر العجب كما قال الحريري : إن تتواري من مملوكك وأنت بمرآى من مملوكك وأن تجاهر بمعصيتك مالك ناصيتك؟ ألا تشهد معي معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) أليس صحيحاً أنه لو استحضر معنى ما ينطق به كل ساعة ويعتقده اعتقاداً تاماً وإن كان يغفل عنه أحياناً — وهو أن القوة التي يحارب بها ربه هي هبة من ربه وأنه مطلع عليه كما يطالع الرجل على الرجل بل أكثر وأكثر؟! — لو استحضر ذلك لكان على صفة صهيب التي وردت في الأثر الشريف ، نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ، بل إن أمر الإنسان لعجب؟؟ يستخفى من مملوكه الذي لا يقدر له على شيء وهو بمرآى مملكته الذي بيده مقاليد كل شيء ، وما أصدق قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فلو استحضر معنى ما هو مؤمن به وأجراه على قلبه لكان إن لم يمنعه الخوف من عقاب الآخرة منعه الحياء من اطلاع سيده الذي وهبه نعمته ليستعملها في طاعته فقلب على نفسه النعمة وصيرها نقمة .

(فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ) .

وأما الشطر الثاني وهو ، وأن محمداً رسول الله ، فهو الوصلة
 العظمى والعروة الوثقى بين ما يفهم من الشطر الأول وبين جميع أحكام
 الشريعة الغراء ، فمتى أذعنت النفس واعترفت بما تعلمه علم اليقين والمشاهدة
 حتى صح لها أن تقول أشهد وأحدث بما أعلم أن ما جاء به محمد صلى الله
 عليه وسلم هو من عند الله أرسله إلينا بالبينات والهدى ، فما أمرنا به فإنما
 أمرنا به ربنا وما نهانا عنه فهو جل شأنه الناهى في الحقيقة كما قال تعالى في
 الكتاب العزيز (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .
 كان ذلك مدعاة للنفس التي يصح أن يقال لها نفس إنسانية تميز ما ينفعها
 بما يضرها أن تأخذ بقدر استطاعتها من هذه الأمور التي هي تجارة
 رابحة وموجبة للزلفى عند الله وباب مرضاته ، وأن يرتدع ارتداعاً تاماً
 عما يوجب غضبه ، وأنه ليكن العاقل في المسارعة إلى امثال هذه
 الأوامر علمه أنها من أمر ربه موجبة لرضائه ، وأن مخالفتها موجبة
 لسخطه وغضبه ، يكتفي هذا لدى العاقل ولو فرض أنه لا يترتب على
 امثالها أو مخالفتها ثواب أو عقاب . فإن النفوس الشريفة ليس شيء
 أحب إليها من أن تعمل عملاً يبلغ مرضاة من له عليها منة ما ، فما بالك
 بمرضاة من هو صاحب المنن كلها في الحقيقة ، وما كانت منة أحد على
 أحد إلا لأن المنعم الأعظم جعل بعض عباده طريقاً لتوصيل نعمته إلى
 بعض ، والكامل من الله وحده فلا إله إلا الله ولا متصرف في الكائنات
 سواه : أجل يكتفي هذا وحده في إقبال النفوس على الطاعة وارتداعها

عن المعصية ، فكيف إذا علم أن الطاعة موصلة إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وأن المعصية قائدة إلى نار وقودها الناس والحجارة ؟ أليس هذا يجعل من أكبر العجب أن يحارب المرء بمعصيته مالك ناصيته ؟ أو ليس هذا مما يشرح لنا قوله صلى الله عليه وسلم ، لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، إلى آخر الحديث ، وفوق هذا فقد اقتضت حكمته لجل شأنه أنه لم يتعبدنا إلا بما فيه مصلحة عاجلة لنا

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم وإن كان هو السيد المالك يكفي في وجوب المسارعة إلى أمثال أمره إن ذلك موصل إلى رضاه ، وهو صاحب النعمة حتى في أصل الوجود والتكوين .

نقول لم يتعبدنا إلا بما فيه مصلحة واضحة لنا سواء في العبادات وهو ظاهر في أصولها وجملتها وإن خفي علينا في بعض تفاصيلها ، وفي المعاملات وهو ظاهر واضح في جملتها وتفصيلها وإن غم على بعضهم انقياداً للنظرة العجلى في مستحدثات الشؤون ومجاراة الأهواء ، وفي الأخلاق وهو أظهر وأوضح .

وإليك البيان في بقية أقسام العبادات :

الصلاة : الصلاة عماد الدين فمن ضيعها فهو لما سواها أشد تضييعاً . أجل ، فإنها جماع أركانها ، فقد اشتملت على الشهادتين وأنفق المصلي بعض ماله في العبادة ، وهو بذل الماء للطهارة ، وأمسك عن كل ما يمسك

عنه الصائم ، واتجه نحو البيت الحرام تنسكا وتعبدآ ، وقد عني الشارع
 بها حتى جعلها تتكرر في اليوم حتما خمس مرات ، وجعل أعمالها مكررة
 في كل مرة مثنى وثلاث ورباع تثبيتها لها وتمكيناً في النفس ، بل جعل
 بعض أعمال الركعة الواحدة متكررة فيها كالسجود مبالغة في إخضاع
 النفس لخالقها وحده ، ولقد شبهها صلى الله عليه وسلم بالنهر يكون أمام
 بيت الرجل يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فلا يبقى فيه من درن وبلغ
 من عناية الشارع بأمرها أنه لن يبيحها لشخص حتى يستعد لها الاستعداد
 اللائق بها فيتطهر من الحدث والنجس فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه ، وكأنه
 وهو يتطهر يقول بلسان حاله : رب قد طهرت ظاهري من الأدران
 والأقذار استعداداً لمناجاتك والوقوف بين يديك فأعني على تطهير
 باطني من كل ما يدنسي ويمنعني عن الوصول لمرتبة الصديقين ، رب
 قد غسلت في الماء فاجعل ذلك تكفيراً لما جرى به لساني مما لا ترضاه
 لي ، رب وقد غسلت وجهي وهو يجمع حواسي فاجعل ذلك تطهيراً
 لها مما اقترفت مما أشعر به وما لا أشعر ، وكذلك غسل يديه التي هي
 مظهر بطشه ومرجع عمله ، ثم مس رأسه الذي هو مستودع قوة تفكيره
 فكأنه يقول : اللهم هذا مبلغ طاقتي في تطهير نفسي فأعني على ما بقي
 خفياً عني ، فإذا غسل رجليه فلكي يسعي بهما طاهرتين إلى خير ما تسعى
 القدم ، ذلك هو الوقوف بين يدي ربه خاشعاً خاضعاً مستحضرآ عظمت
 وجلاله وصغر كل ما سواه قائلاً بلسانه وقلبه : الله أكبر ، أليست

هذه الكلمة بعد هذا الاستعداد العظيم كافية للنفس التي تعرف قيمتها
 أن تنصرف عن كل ما سواه وكل ما سواه صغير حقير والله أكبر؟؟
 أليس ينبغي له وقد وقف بمراى من ربه أن يقبل عليه فيذكر نعمته
 ويشكرها ويثني عليه بأنه هو صاحب الحمد وحده في كل نعمة، فما من
 نعمة إلا وهي منه وأنه هو رب العالمين خلق كل شيء فسواه وأعطاه
 كماله اللائق به، ثم هو مصدر الرحمت والواهب لجميع العطايا، فإن
 لم يكفه هذا ليجذب نفسه نحوه رغبة في فضله واعترافاً بشكره فهو مالك
 يوم الدين (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
 مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
 بَعِيدًا) وهنا تجد نفسك بين الرغبة العظمى والرغبة الكبرى فلا تجد
 مناصاً من إفراده بالعبادة وحده، فتتجه إليه مستحضر أعظمته وتخطبه
 كأنك تشاهده (إياك نعبد) ولما لم يكن للنفس قدرة إلا منه ولا معونة
 إلا به تخلصه بطلب المعونة (وإياك نستعين) وهنا تشعر بأن التوفيق
 والهداية ليس لهما باب إلا رحمة الواسعة، فكم من عقول كانت راجحة
 فزلت وضلت لأنها لم تدركها هدايته فيبتهل المصلي إلى ربه طالباً منه
 الهداية إلى الطريق الأقوم، طريق المتقين وأن يساعده عن سبيل
 المنكرين المعاندين والضالين الزائغين فيقول (اهدنا الصراط المستقيم
 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).
 وبعد هذا فسواء أقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن أم اقتصر على

أم الكتاب . فإن هذا المقدار كاف في أن يخضع لجلال الله ، ويطأطئه
 هامته أمام عظمته مسبحاً حامداً معترفاً بلسان حاله أنه هو الجدير
 وحده بأن يخضع له ويخشع أمام هيئته ، وتحني الهامات تعظيماً لقدره ،
 فإذا ما اطمأن لهذا طلب إليه أن يرفع قامته استعداداً لامتحان ما يطلب
 منه والقيام بما يؤمر به ، فيطلب إليه بعد هذا أن يخرساجداً لله وأن
 يضع جبهته — وهي أعز شيء لديه — على الأرض خضوعاً لله وحده ليحرر
 نفسه من العبودية لغيره ، وهنا يجيء « أقرب ما يكون العبد من ربه
 وهو ساجد » ، ثم يكرر ذلك تثبيتاً وتمكيناً لمعالم الذلة لله وحده التي هي
 باب العزة للنفس ، فإذا ما كرر هذا العمل مثني في الصبح وثلاث في
 المغرب ورباع في باقي الأوقات قائماً باستحضار تلك الأسرار ، فكم
 يكون مطهراً لنفسه ؟ وكم يكون للصلاة من أثر في تهذيب النفوس
 وتطهيرها من الأدران كما يغتسل المرء في نهر أمام منزله خمس مرات
 كل يوم فلا يبقى فيه من درن كما في الحديث الشريف . أولم يتضح
 لنا بذلك قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) أولم يظهر
 صدق قوله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي قيل عنه أنه يفعل كيت
 وكيت وقد سأل : أليس يقيم الصلاة ؟ قالوا بلى فقال إن صلاته ستناه .
 أجل . إن الصلاة على هذا الوجه وبهذا الاستحضار عماد الدين فمن
 أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ولا يفوتك أن
 تتأمل بنفسك مغزى كلمات التشهد في آخر الصلاة أو وسطها وما فيها

من توجيه التحيات والتعظيمات لله ثم إهداء السلام للواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم ، ثم السلام على نفسك وعلى عباد الله الصالحين والعودة إلى الأساس الأكبر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم الصلاة على النبي وعلى آله لأنه الوسيلة إلى هذا الخير كله .

وأما التوجه إلى القبلة فليشعر بأنه وإخوانه المؤمنون جميعاً متجهون إلى جهة واحدة هي أول مهبط للوحي ، فينبغي أن تتحد قلوبهم كما اتحدت وجهاتهم .

ناشدتك الله أيها المصلي أن تروض نفسك المرة بعد المرة على أن تستحضر في صلاتك هذه الأسرار حتى تتمكن من نفسك وتصبح ديدنك وعادتك ، فإنك بلا شك ذائق حلاوة الإيمان وشاهد مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرّة عيني في الصلاة » ومصداق قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ) وبالغ درجة الإحسان وهي « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

الزكاة : قد جعلها الشارع الحكيم قرينة الصلاة في غير ما آية من الكتاب العزيز ، وذلك أن المال أعز شيء على النفس حتى قالوا المال شقيق الروح ، إذ يشعر المرء أنه ما من غرض يبتغيه إلا وجد المال وسيلة إليه ، فأمر هذه صفة ومنزلته في النفس كم يكون الخروج عنه بلامقابل عاجل صعباً على النفس وشاقاً ، فلا جرم أن جعل الشارع بذله وهو على هذه الصفة ابتغاء مرضاة الله علامة الانقياد لطاعته والرغبة

في مرضاته ، وكان جديراً بالنفس التي ربيحت على التهذيب . الدائم حتى أصبحت سلسلة القيادة لطاعة مولانا أن يكون أول مظهر هذا الانقياد الإقبال على بذل النفيس العزيز حياً في إحراز المطلب العزيز وهو رضا الرحمن ، فانظر كيف أن العبادات يأخذ بعضها بحجز بعض حتى تكون هيكلاً عظيماً وبناء شامخاً ، وقد أفردنا للزكاة مقالا في هذا الكتاب شرح بعض ما لها من مزايا وإن كانت أسرار التشريع أوسع من أن يستوفى مثل هذا القلم القاصر .

الصوم : أما الصوم فما أحوج النفوس التي غرقت في لذائذ الحياة وانغمست في الترف والنعيم أن تشعر ردها من الزمن بالحاجة إلى المربي الأعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة إلا فقدوها كما قالوا : الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى ، وليس هذا قاصراً على نعمة الصحة ، فالإنسان دائماً مولع بالنظر إلى ما حرم منه غافل عن الاعتداد بما تمتع به ، ولذلك جاءت الآيات تترى حائرة على تذكر النعم للقيام بشكرها ، ومن أعظم نعم الله على عباده المؤمنين التي تكررت حتى أصبحت كأنها أمر طبيعي مألوف لا يحس به ، هو الإطعام من جوع ، فاقترضت حكمة العليم الحكيم أن يكلف الإنسان أن يجيع نفسه جزء من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه ، وليهذب نفسه ببيان عجزها وضعفها حتى ترجع إلى خالقها ، ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها ، وتربية ملكة الصبر والأمانة فيها .

الحج : جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة لتكوّن الأمة وتوحد صفوفها وتجمع شملها وتقوى كتلتها وتمنّ بنيتها ، كما كفلت تهذيب الفرد وتطهير نفسه ورفعته عن الدنايا والدنس وعن الخضوع ، خضوع العبادة لغير ربه ، والأمة الإسلامية لا يحويها صعيد واحد ولا يحصرها إقليم واحد ، وإنما هي تعمر الأرض مشارقها ومغاربها ، ولكل أمة مزاياها ورزاياها ، ورب أمة ممتعة بمزايا جمّة قد حرمت مزية كبرى امتازت بها أمة تعيش بمنأى عنها وكذلك رب رزية حلت بقوم وقد نجا منها غيرهم بما هداهم الله إليه .

ولما كان الإسلام قد جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وجعل المؤمنين في توادم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . كان تشريع أمر الحج تشريعا عجبا يهدى إلى الرشده وينقذ من الضيم ويعين البعض على مساعدة البعض ويجعل التراحم بين المؤمنين والنساند حقيقة لا خيالا ففرض على المؤمنين أن يحج منهم من استطاع ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق الذي هو قبلتهم ورمز وحدتهم ووجهتهم في عبادتهم لحكم جليلة لا لأن الله في مكان سبحانه عن أن يحويه مكان ، وقد تضمن بما شرع فيه من التجرد عن متاع الحياة الدنيا ذكرى يوم البعث والنشور ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وكأن الحجاج يقولون بلسان حالهم : ربنا إننا تجردنا من كل شيء لنقبل عليك فليكن اللهم لبيك .

وقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يجعله في واد غير ذي زرع تجبي إليه ثمرات كل شيء لينجو من أن يكون مشار التنازع على الملك من حيث احتواؤه على زخرف الحياة الدنيا ومتاعها ، فإذا ما تنوزع على الأمر فيه فليس إلا للقيام بخدمة عباد الله ، وإقامة شعائر الله ، وهكذا كان ، وهكذا يبقى إلى ما شاء الله .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق لطاعته ، ويباعد بيننا وبين معصيته . فانظر إلى هذه الأحكام وما احتوت من أسرار وحكم عظم فيها إذا كشف لك الغطاء وكنيت من أنوار الناس بصيرة وأرجحهم عقلا وهديت إلى مالم يهتد إليه غيرك ، ثم كلفت أن تضع للناس قانونا يهذب من طباعهم ، ويسلس من قيادهم ، ويلاين شكيمتهم ، ويزيل الأحقاد من نفوسهم حتى يتم تراحمهم ، أفكنت واجداً خطة أهدى تتبعها أم أنت معترف بأن الكمال لله وحده ، وإن هذا هو الدين الحنيف (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

بين العلم والدين

هل الدين ضروري للحياة؟

ربما كانت هذه المسألة أحق المسائل بالبحث ، وألزمها بالمرعاة في هذا العصر ، الذي سيطرت فيه على الحياة والأحياء ، هذه الظاهرة المادية ، ووقف الإيمان بناسه عندما تلمسه اليد ، وتحيله في بوتقات التجارب ، ولعلمهم يشكون فيما تراه العين ، وتسمعه الأذن ، ويشمه الأنف . . . حتى عاد هذا العصر أشبه شيء بعصور الوثنية ! وصار أهلوه أشبه بمن يصنعون التماثيل ويعبدونها من دون الله ! !

هذه الروح العامة تلتقك حيث سرت ، وأين حلت ، تلتقك في العلم بين العلماء ، وفي الفن بين الفنيين ، وفي المصانع بين العاملين ، سحرت الشبان ووقفت بتفكيرهم وعقائدهم وإيمانهم عند هذه الدرجة ، كأنما الحياة جسم لا روح فيها ، وكأننا ألعينا العقول واستحلنا زنجاً نجد تاريخنا مطلع كل شمس ، أو حجارة ليس لها من الحياة والمات إلا ملء الفراغ والتحيز في الأجواء .

نحن في حاجة قصوى إلى استرداد إنسانيتنا ، وعرقان هذه الناحية الروحية التي تميزنا من سائر الكائنات ، وتتجاوز بنا هذا الستار الحسي

السخيف ، إلى حيث نعرف أنفسنا ، ثم نعرف خالقنا ؛ إلى حيث الإيمان والدين .

. أما أن الدين مسألة طبيعية للإنسان ، فشيء ثابت لا يتردد فيه الباحثون الآن مهما يكن لون هذا الدين : فليكن ديناً أرضياً ، وليكن ديناً سماوياً ، وليكن مذهبا اجتماعيا أو علميا ، ولكنه على كل حال عقيدة يطمئن إليها الإنسان ، ويصدر عنها في حياته ، وتظهر آثارها وروحها في كل أعماله ؛ فالدين هو هذه الشخصية الروحية للإنسان ، وهو كما يحكى «كارليل» : أحسن ما في الإنسان ، وأى شيء أحسن من الهداية والرشاد ، وأى شيء أقوم من هذا الذي يرسم لك طريق الحياة ، ويطمئنك على ما بعد الممات ؟ !

ولكن المسألة هي : أى دين هذا الذى يستطيع السيطرة القوية الخالدة على الحياة والأحياء ؟ أيكفى فيه هذه المواضع البشرية والقوانين الاجتماعية ، التى يضعها العلماء الناهيون ؟ أم أن الدين بحكم طبيعته ووظيفته يجب أن يستمد أصوله وروحه من مصدر أسمى من هذا الإنسان ليعتد على الإنسان ، ويجب أن يبسط سلطانه على الحياة وما بعد الحياة ، ليعتد فى الناس الصبر والاحتمال والأمل العريض ؟

(١) لعل أهم ميزة للدين السماوى كالإسلام ، هى الاعتراف بحياتين :

هذه الحياة الدنيوية التي يجول فيها الناس ، وتقف عندها جهودهم ،
وتقصر عليها معارفهم ، وتوضع لها قوانينهم العلمية المدنية ، ثم تلك الحياة
الآخرة التي قد تعد أمام المعرفة الإنسانية سرّاً مجهولاً ، وربما صارت
عند البعض سراً باخداعاً ووهماً باطلاً ، ولكنها أمام الإيمان الصحيح ،
والعقائد السديدة نتيجة منطقية للحياة الدنيا ، ومستقر طبيعي محتوم .

بهاتين الحياتين يعترف الدين الإلهي ، وأما العلم فنتهى عرفانه ومجال
سلطانه لا يعدو هذه الدنيا الفانية ، وهو بعد ذلك لا يزال مذبحاً للحياة
يحاول إسعاد الناس ، وبعث الطمأنينة في نفوسهم حتى فشل وعجز ،
بل بعث اليأس في الحياة ، وحول سذاجتها وطهرها جحياً مستعراً
وعذاباً ألماً !

خبرني : علام يعتمد هذا العلم الإنساني وتقوم قوانينه الوضعية ؟
أليست تعتمد في تجميل الحياة على الصناعة وآثارها ، أو بالأحرى على
المال ؟ ثم قل لي : كم من الناس يستطيع أن يوفر لنفسه من المال
ما يمكنه من مسابقة هذا العيش الصناعي ، والهدوء في هذه الحياة الدنيا ؟
طبعاً ، لا أحد ، أو هم أقلية لا تكون نسبة مئوية ولا ألفية ، وأما سائر
الناس في يرى هذه الحياة العلمية ، فهم جد أشقياء بائسين ، على أن هؤلاء
الأفذاذ ، الذين أتاحت لهم كثرة مالية لا يضمنون السعادة بهذا المال ،
بل كثيراً ما يضمنون به الشقوة والهلاك . والسعادة كما نعلم لا تفرض
على النفوس فرضاً ، وإنما تفيض منها فيضاً ، إذ هي عقيدة ذاتية ،

ورضا ، وقناعة ، وشعور بالهدوء والاطمئنان . . .

العلم عاجز ، وقوانينه قاصرة ، ولكن هذا الدين السماوي يعرف
الحياتين ويكمل كلا بالأخرى ، ويسبغ على النفوس اليسر والطمأنينة ،
فيطلب إلى الأغنياء زكاة المال للفقراء ، وينادي بالمساواة والعدالة ،
ويعد الفقراء والمجهود دين في الدنيا حياة أخرى أطول أجلا وأنعم حالا
تعوض عليهم من هذا الحطام الزائل نعيما مقيما وسعادة خالدة ، فيحيون
صابرين رجاء المثوبة ، ويعمرون الحياة آمليين راغبين ، ولولا هذا الأمل
لضاقت مدة العمر عن توفير السعادة والخير ، وأستولى اليأس على
النفوس وكان شقاء العالم والانتحار ، فالدين السماوي يغمر الأحياء بهذا
الروح الذي يرضيهم بهذا العاجل الواقعي ، ويقويهم بالأمل في ذلك
الأجل الكمال ، وهو بذلك ضروري للحياة الدنيا ، والآخرة
خير وأبقى .

ولو حاولت القوانين الوضعية فرض حياة آخرة لكانت هذه الحياة
موضع شك وسخرية ، وتعرضت للزوال منذ ولادتها ، وليس
في الإمكان أبدع مما كان .

(٢) ثم خبرني كيف يستطيع هذا الدين الوضعي السيطرة على الحياة
الروحية ، وفرض الرقابة على ماخفي وظهر ، والمحاسبة على ما تراه عين
القانون ولا يقع تحت طائلته ؟

يستطيع الإنسان السرقة والقتل وانتهاك الحرمات خفية لا يراه

الشرطي ، وهو بعد ذلك آمن وادع يسلب الناس الأموال والأعمار دون قصاص ، مادام بعيداً عن رقابة أو شهادة . فأى سلطان يردعه عن الآثام والعدوان ؟ لا بد إذاً من سلطان روي غير عادي ، أقوى من هذا السلطان الحسي . . لا بد من قانون يحاسب على الظاهر والخبئ إن لم يكن عاجلاً فأجلاً ، حتى يستقر في النفوس مايزعها عن الشر ويتكون فيها هذا الضمير الديني الذي هو أسمي المظاهر الخلقية في الإنسان ؛ ذلك هو الدين الإلهي الذي لا يقف عند تربية هذا الوازع النفسي بل يحمل الناس على عمل الخير خفية دون الشر رجاء المثوبة ، وحفظاً لحياة الناس ، وإبقاء على كرامة المعوزين ، وهنا يستريح العالم ويحيا حياة روحية ويعيش الإنسان إنساناً .

(٣) ومسألة أخرى يمتاز بها الدين السماوي هي الخلود ، ولا تزال الشرائع الأرضية بين تقص وإبرام متعاقبين ، ولا تزال بادية النقص ضيقة التأثير والملاءمة للمجتمعات ، ولكن الله سبحانه هو القادر على خلق هذا الدين الخالد ، الصالح للبيئات الزمانية والمكانية جميعاً .

وأنت إذا نظرت في تعاليم الإسلام ، وجدت فيها من رحابة الصدر والملاءمة لفنون الحياة ، مايقنعك بأن هذا الدين الحنيف هو دين الخلود .

(٤) وبعد فماذا وراء الإلحاد والكفران غير الوثنية والحيرة ، وسلب الحياة روحها ، وعبادة الحديد والنار ، والتعلق بالمال وهو صعب المنال ، سريع الزوال ؟ أليس من الخير بعد هذا الانتكاس الديني

أن نعود إلى حظيرة الدين آمنين مؤمنين ، سالكين إليه تلك الطريق
البسيطة المقنعة التي سلكها أبونا إبراهيم عليه السلام ، لما استعرض
مظاهر الكون فبدأ له نقصها وزوالها فتركها إلى خالقها وقال :
وَإِنِّي لَأَنِّي وَجْهَتُ وَوَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ١٩

العودة إلى الدين

تقضى الشرائع السماوية على أن الدين هو الدولة - أو بمعنى أصح ، هو قانون الدولة ؛ أو دستور الحكم فيها ، هكذا يجب أن يكون . ذلك لأن الأديان إنما تخدم في حقيقتها ومعانيها عالمين ، وتربط بعضهما ببعض برباط وثيق . . فلا انفصام لأحدهما عن الآخر ، فما قبل الموت عالم ، وما بعده عالم آخر ، وهما حياة دنيا ، وحياة أخرى ، والفناء بينهما . أداة للبقاء أو رمز للانتقال من حال إلى حال . فسيحان مغير الأحوال وقد قال الشاعر الحكيم :

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفساد
إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أورشاد
ذلك ما تقرره الأديان التي أحكمت الربط بين ماضى الإنسان ،
وحاضره ومستقبله فجعلت من ذلك وحدة متشابكة مترابطة ، تتأثر
الأخرى بما يعثور الأولى من خلل أو انحلال أو ضعف ، ومعنى هذا
أن هذه الأديان الإلهية العظيمة كانت تقضى أو تأمر ، أن يكون
الحكم في هذه الحياة . لها أو بها لأن نتائج ما بعد الموت مترتبة على ما قبله
فمن يذنب في الدنيا ، يعاقب في الأخرى ؛ ومن يصلح في هذه ، يفلح
في تلك ؛ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

تلك هي حقائق الأديان ، وحكمتها ومرامها ، وهي بهذا تجعل من نفسها ،
أو جعل منها الله صانعها ، وخالقها ، حكماً ، ودستوراً .

فإذا نظرنا بهذا المنظار ، إلى الدساتير الوضعية ، التي أنشأتها بعض
الدول التي تنتسب إلى ديانة ما ، وجدناها تخالف هذه القاعدة ،
أو تختلف عنها اختلافاً واضحاً ، فأنجلترا مثلاً ، أو فرنسا ، أو هولندا
تنتسب إلى المسيحية كدين رسمي للدولة ، ولكن قوانينها ودساتير الحكم
فيها ليست مستمدة من الإنجيل ، ولا هي قائمة عليه ، وكذلك الشأن
في بعض البلاد الإسلامية ، فبينما ينص دستورها على أن دين الدولة
الرسمي هو الإسلام تجد أن قوانينها مستمدة من بعض القوانين الفرنسية
أو الهولندية ، أو غيرها .

أما الإسلام فكما قيل عنه ، أنه دين الدولة فقط ، وليس هو دستورها
المحكوم بمقتضاه وعلى أساسه .

وما معنى هذا إذن ؟

إن الأديان وجدت لتكون عملاً يودي ، وشرعة تتبع ، لا لتكون
رمزاً فقط . فإذا قيل إن دين الدولة شيء ، ودستورها شيء آخر ، فإن
هذا تهريج لا معنى له .

ذلك لأن الأديان ربطت بين حياتي الناس ، دنياهم وأخراهم ،
فالنعيم أو الشقاء في الأخرى مترتب على الصلاح أو الفساد في الأولى .
أما هذه القوانين الوضعية ، فقد وجدت لتعالج حال الدنيا فقط ،

أما الأخرى فإنها عنها بمعزل ، والأديان من صنع الخالق ، وتدييره ؛
أما القوانين ، فمن وضع المخلوق وتفكيره ؛ ومتى كان عمل الخالق ،
يتساوى في الحكم والصفة مع عمل المخلوق ؟

ولو كان الإنسان يستطيع أن يهتدى بفكره ويسعد بعمله ؛ لما
أنزل الله كتيبه المقدسة وأرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل .

والناس متدينون بالفطرة ؛ هكذا خلقهم الله وأنشأهم ، فإذا أرادت
الحكومات ، أو الأفراد تحويلهم عما طبعوا عليه ، فإن في ذلك تباعداً
بين المرء وقلبه ، وتفريقاً بين الجسم والنفس ، فترى الجسم منساقاً مع
تيار وضعى مادي ، بينما النفس منقادة إلى تيار طبيعى روحى ؛ وهذا
ما جعل الحياة في حالتها الحاضرة جحيماً لا يطاق ، ومسرحاً للشقاء
والفوضى . . . والأفكار المتناقضة ، والمبادئ الهدامة .

ولن يستعيد العالم سعادته ، ويستشعر الراحة واللذة ، حتى يسود
إلى الدين ، الدين الذى جعله الله قانوناً للحياة ، وتقريراً لما بعدها ،
من حياة أخرى ، لا الدين الذى وضعه الإنسان لنفسه ؛ واستمد تعاليمه
من شرور طبيعته ، واندفاع أفكاره وتناقضها وإلا فلماذا هذا التفريق
بين الطبقات ، والتمييز بين الأجناس والتناحر بين الحكومات وقد خلق
الله الناس جميعاً من طينة واحدة ، وسوى بينهم في الشكل والوضع ،

والتناسل والنشوء ؛ فلا ميزة بين شخص وآخر إلا بعمل الخير .
ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

ولقد كان من أثر الإستعمار الغربي - لبعض البلاد الإسلامية -
أن فرق بينها وبين الإسلام ، فتحللت من بعض تعاليمه السمحة
وجاءت دساتيرها تعترف بالإسلام كدين رسمي للدولة ؛ ولا تمشي
على تعاليمه أو تهتدي بهداه .

فلا القاتل يقتل ، ولا السارق تقطع يده ، ولا الزكاة مدفوعة
ولا الخمر ممنوعة ، ولا البغاء محرم .

ولئن كان لتلك البلاد بعض العذر يوم إن كان الاستعمار الأجنبي
جائماً على صدرها ، متغلغلاً بسمومه بين شرايينها . فما هو عذرنا الآن
بعد أن أخذ شبح الاستعمار يتزائل ؛ وظله يتقلص إلى غير رجعة
إن شاء الله تعالى ؟

المرأة العربية في صدر الاسلام

كان تعلم العلم الدينى في عهد النبوة عاماً للكبار والصغار والذكور والإناث فكان النساء يتدارسن القرآن ، ويروين الأحاديث ، ويحافظن على العبادات ويصلين صفوفاً في المساجد ، ويستمعن الخطب والمواعظ ويحضرن صلاة العيدين في المصلى العام ، ويسافرن لأداء فريضة الحج والعمرة ، بل كن أيضاً يشهدن الحروب ويهينن للمجاهدين الطعام ، ويسقينهم الماء ويغسلن الثياب ويضمدن الجروح ، ويشتركن في الجهاد أحياناً .

نعم إن الشريعة لم توجب على المرأة حضور الجمعة والجماعة إيجاباً ولم تفرض عليها القتال مع الرجال ، وحماية الديار ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وإنما خصت الرجال بذلك كله ، لأن للمرأة من نظامها الفطرى واختصاصها المنزلى ، ما يعوقها عن مشاركة الرجال في كل حين بمثل هذه الأعمال ، ومن أكبر موانعها الحمل والولادة وحضانة الأطفال وإعدادهم رجالاً للمستقبل ، وإدارة شؤون المنزل .

وأما عملها الإسلامى في الجهاد فيظهر بمثل ما قامت به في وقعة أحد بطلة الحروب والوقائع العربية الإسلامية ، الصحابية الجليلة أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية الشهيرة ، وإليكم الحوار الذى دار

بينها وبين أم سعد بنت سعد بن الربيع ، قالت أم سعد : دخلت على أم عمارة فقلت يا خلة : أخبريني خبرك ، قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أبشر القتال ، وأذب عنه بالسيف وأرهمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى ، فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت من أصابك بهذا قالت ابن قتيبة أقامه الله (أذله وأصغره) لما ولي الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا . فاعترضت له أنا ومصعب ابن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، ولكنى ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان ، وقد أثى الرسول على شجاعته فقال : ما التفت يوم أحد يمينا ولا شمالا إلا ورأيتها تقاتل دوني .

شهدت بيعة الرضوان ، ثم شهدت وقعة اليمامة ، فقاتلت حتى قطعت يدها ، وجرحت اثنتي عشرة جراحة ، وكانت فوق ذلك كله محدثة جليلة ، روى عنها ابنها عباد بن تميم وهو لاتها ليلي ، وعكرمة والحارث بن كعب وأم سعد ، وحدثها في كتب السنن الأربعة .

وبمثل ما قامت به أيضاً ، خولة أخت ضرار بن الأزور الكندي التي كانت أشجع نساء العرب في عصرها ، وكانت تشبه بخالد بن الوليد

في حملاته . بل ظنّها أناس في بعض وقائعها خالداً ، بل خالد نفسه كان
 معجباً بفرط شجاعته ، وما ظهر من خلالها وشمائلها ، ولها أخبار كثيرة
 في فتوح الشام ، وما حدث به ابن هشام وغيره أنه لما أسر أخوها
 ضرار بن الأزور في وقعة اجنادين ، سار خالد بن الوليد (رضي الله عنه)
 في طليعة من جنده لاستنقاذه ، قيناً هو في الطريق مر به فارس معتقل
 رحه ، لا يبين منه إلا الحدق وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوى على ما وراءه
 فلما نظره خالد قال ليت شعري من هذا الفارس وأيم الله إنه لفارس ،
 ثم اتبعه خالد والناس من ورائه ، حتى أدرك جنود الروم فحمل عليهم
 وأمعن في صفوفهم وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كتائبهم ، وحطم
 مواكبهم ، فلم تكن غير جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ،
 وقد قتل رجالاً وجنوداً أبطالاً ثم عرض نفسه للموت ثانية فاخترق
 صفوف القوم غير مكترث وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليه
 شيء كثير ، وظنه أناس خالداً . حتى إذا قدم خالد ، قال له رافع بن عميرة
 من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته ؟ فقال خالد : والله
 لانا أشد إنكاراً وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله ، وبيننا القوم في حديثهم
 خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب والخيل تعدو في أثره ، وكلما اقترب
 أحد منه ألوى عليه ، فأنهل رحه من صدره حتى قدم على المسلمين
 فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورفع لثامه ، وناشده ذلك خالد
 وهو أمير القوم وقائدهم فلم يجر جواباً ، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم

فقال أيها الأمير إني لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل ،
وأنا من ذوات الخدور ، وبنات الستور وإنما حملني على ذلك أني محترقة
الكبد . زائدة الكمد ، فقال خالد من أنت ؟ قالت : أنا خولة بنت
الأزور ، كنت مع نساء من قومي فأتاني آت بأن أخي أسير ، فركبت
وفعلت ما رأيت . هنالك صاح خالد في جنده فحملوا وحملت معهم خولة
وعظم على الروم ما نزل بهم منها ، فانقلبوا على أعقابهم . كان لوحى الله
المعجز سلطان على روح المسلمة ووجدانها ، وكان إيمانها عدتها في جميع
الأمور وعتادها ، فهو يفرغ على قلبها نعمة الصبر والثبات في جميع
المهمات والملات ، ويعدها بالجزاء الأوفى في دار الرضوان ، وقد
استبان لك الفرق الآن بين حالها في صدر الإسلام وما هي عليه في
هذا الزمان .

الصّلة بين الدّين والآدب

الآدب مدين للدين بالشئ الكثير ، وهذه حقيقة أحسبها بديهية ليست في حاجة إلى تقرير ، ولكنها في حاجة إلى شيء من التوضيح أو التفسير .

ولكى يكون التوضيح منطقياً يحفزنا البحث إلى الرجوع إلى تاريخ الآدب العربى واستقراء الأطوار التى درج فيها ، وإذا لم يتسن ذلك فى هذا المجال الضيق ، فلا أقل من إلمامة عابرة ترسم الخطوط الأولية الرئيسة .

يعلم القراء أن الآدب العربى القديم ، أعنى الآدب الجاهلى لم يعرف آدب الكتابة ، فكان مقصوراً على الشعر والخطابة وسجع الكهان ومن فى حكمهم من فصحاء العرب ، وقد خدم الرواة الشعر فنقلوا إلينا أكثره حتى شاء الله له أن يدون حينما أخذت الكتابة العربية طريقها إلى التاريخ ولكن النوع الآخر ، أو النثر الفنى فى الخطابة وما إليها ، يستطيع الرواة أن يعوه وعيهم للشعر الذى أعانهم على حفظه ووزنه وموسيقاه ، فلم يكن فى ذلك النثر القليل غناء ، ولم يكن له الأثر الكبير فى توجيه الآدب فى العصور التالية للعصر الجاهلى .

ولما جاء الإسلام استحوذ على أرواح العرب ، فشغلهم الحماس له عن

كل مظهر من مظاهر النشاط الثانوي ، فكان في ذلك الخير كل الخير للإسلام ودعوته ، فقد استغرق العرب كل جهودهم لتأييد الدين الجديد فصرفوا أرواحهم إلى مواطنه العميقة ، وظواهره التعبدية ، ثم جردوا القوة البيانية لنشر الدعوة كما صرفوا القوة الحربية لهذا الغرض ، ثم انتشروا في بلاد الله فاتحين داعين ، فكانت هذه الفترة التي قضوها في حياة الجهاد والانتقال من بلد إلى بلد لا تعين على استقرار الأدب ، أو المظاهر المدنية ، لأنها حياة ينقصها الاستقرار نفسه .

لكن هذه الفترة نفسها لم تخل من النوعين المتقدمين من الأدب ، فظهر فيها الشعر ، ولكنه لم يكن على درجة من الجودة تضعه في صف واحد مع الشعر الجاهلي الفحل . وظهر فيها أيضاً النثر الفني في خطابة الخلفاء والولاة والقادة ، ووصاياهم للشعب وللجيوش .

وعندما بدأت حياة الاستقرار وتركزت الخلافة في دمشق وبدأ الخلفاء وكبار الرجال يضعون اللبنة الأولى في حضارة الإسلام بدأت الصلة تتحكم بين الأدب والدين ، وبدأت تظهر جلية تلك الخدمات القيمة التي قدمها رجال الدين للأدب .

وقبل أن أدلف إلى صميم الموضوع لا أحب أن تغيب حقيقة كبرى ليست في حاجة إلى مראה . كما أنها ليست في حاجة على إبانة أو تدليل . هذه الحقيقة هي أثر القرآن في الأدب ، فالقرآن هو كتاب الله الذي لم يلحقه ولن يلحقه تغيير أو تبديل . ولذلك كان

مصدراً دائماً للبيان الذي لا يجارى ينهل منه الأدباء والشعراء فلا ينضب معينه ، ولا يبلى جديده ، وقد ساهمت تلاوته التعبدية في تعميق أثره في الأدب العربي ، إلى جانب تعمقه في الشعور الديني .

إن هذه الحقيقة الكبرى ليست في حاجة إلى إبانة أما الهدف الذي نبتغيه فهو شرح الروابط الأخرى التي ربطت الأدب بالدين .

بعد حياة الاستقرار التي أشرت إليها من قبل بدأت بوادر التدوين وكان الغرض منه دينياً بحتاً ، فشرع علماء الدين في تسجيل الحديث الشريف وخدمته خشية على ضياعه وتفرغ منه العناية المنقطعة النظير بتتبع حياة رواة الحديث بغية التصحيح أو التجريح ، وامتد ذلك إلى ما لا يكتنف حياة الرواة من التعرض لما امتاز به بعضهم من ميزات أدبية . وعن هذا النوع نشأ أدب التراجم في الأدب العربي وعن الحديث نفسه ، أقصد عن المتن صدرت على توالي العصور العناية بأسرار البلاغة في القرآن والحديث فهذان النوعان : أدب التراجم والبحث في البلاغة كانا فرعين من فروع العناية بعلوم الدين .

ثم هناك اللغة ، مادة الأدب فإن مصدر التحقيق اللغوي وتقويم الألسن بالنحو يرجعان إلى الدين نفسه ، فقد عني التفسير بالتحقيقات اللغوية للألفاظ ، كما أن شرح الحديث أدى إلى نفس هذه النتيجة .

لقد وضعت الأسس الأولى للنحو ، لغرض ديني بحت كما يحدثنا التاريخ في بعض رواياته فإن خشية اللحن في القرآن دفعت إلى الغيرة

عليه ، فاتخذت القواعد الأولى من النحو طريقها نحو الغاية التي تدرجت إليها فيما بعد .

والكتابة الفنية حينما ظهرت كانت تستند بقوة على دعائم التضمين من القرآن والتدليل به ، والاستنباط منه ، واستعمال بعض صيغه ، يهدف الكتاب من وراء ذلك إلى الإقناع وإثارة العاطفة الدينية فيمن يعينهم الأمر وإلى تحلية نثرهم وإضفاء لون طريف عليه من الإبداع .

ليست هذه كل روابط الأدب بالدين . ولكنها أمثلة من تلك الروابط لعل في إشارتها أو التذكير بها في هذه الكلمة باعثاً على تحكيم الصلات بين المسلمين وتوثيق التقارب فيما بينهم ، وهذا التقارب ألوان من التقارب الثقافي ، وهو الدور الذي يجب أن نقوم بتأديته كاملاً والتقارب الثقافي أنواع وصنوف ، فيجب أن نضع منهاجاً للتقارب في الأفكار والآراء الدينية والأدبية . ومن هنا كان حق الأدب أن يجاور الأبحاث الدينية ، ما دام يرمى إلى الأهداف الإسلامية الصحيحة .

الإسلام دين ثقافة

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا يخاطب بمعجزته العقول ، ويحاور الألباب ، « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ، ، « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، ، « وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ليرشد الناس إلى أن العقل أساس الحياة ، وسر الوجود ، والعلم رائد العقل وهاديه وشمسه التي تضيء له الآفاق المظلمة فيحض القرآن الكريم الناس على العلم ، ويغريهم به في أسلوبه الساحر الجذاب « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب ، ، « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ، ولعل في نزول أول سورة منه بالدعوة إلى القراءة والتعلم « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، أعظم تمجيد للعلم والعلماء ، وتنبهاً سافراً إلى أن عصر الإسلام هو عصر العلم والثقافة ، ويدفع النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه بكلتا يديه إلى نحو الجهالة وإزالة الأمية ، ويرسم لهم خطة ذلك الكفاح المجيد عقب أول غزوة غزاها ، فيجعل فداء الأسير الذي يحسن القراءة

والكتابة ، تعليم عشرة من المسلمين ؛ ويوجه إلى كل قبيلة تعتنق الإسلام معلماً يرشدهم ويهذبهم ويثقفهم ، ثم يوالى حملته المقدسة الناجحة على الجهل ، فيحض الناس على التعلم تارة بالأمر الجازم « أطلبوا العلم ولو بالعين » وتارة بالترغيب والتجيب « الناس عالم ومتعلم وسائرهم همج ، إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ، ولمداد ما جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله » إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الكثيرة الداعية إلى التعلم .

ويرى النبي صلى الله عليه وسلم أن مهنة التعليم شاقة عسيرة ، ومهمة صعبة معقدة فيغرى بها المتعلمين ويرغبها إلى العلماء بمختلف الأساليب فينصب من نفسه معلماً للناس في مسجده الشريف ويبين أن التبتل للتعليم أسمى من التبتل للعبادة والذكر فيقول صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » ويخرج ذات يوم مع بعض أصحابه فيرى مجلسين أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، وفي الثاني جماعة يعلمون الناس فيقول : « أما هؤلاء فيسألون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً ، .

وقف الإسلام في ذلك مع الأثني موقفه مع الذكر وأخذت المرأة من ذلك التعليم بنصيب موفور فقد كانت تقرأ القرآن ، وتحفظ الحديث وتنشد الأشعار ، وتروى الأخبار وتسير مع الرجال إلى ساحات القتال فتسقى العطاش وتضمم الجرحى . جاء في صحيح البخارى أن النساء قالوا :

يا رسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك . فجعل لهم يوماً ليعظمن ويعلمهن فيه . قال الإمام أحمد في مسنده عن الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة ، قال الأثرم قال إبراهيم بهذا حدثت أحمد بن حنبل رضى الله عنه فقال : هذا رخصة في تعليم النساء الكتابة ، والحديث ظاهر في الحض على تعليم المرأة ما هو فوق الكتابة ، فالرقية طب نفسى ، له منزلته في علاج الأمراض .

يقول المؤرخ الفرنسى الكبير « ستديو » فى كتابه خلاصة تاريخ العرب : « كان عرب أسبانيا متفوقين على الفرنج فى العلوم والصنائع والأخلاق الكريمة ، مما حجب ملوك قسطنطينة أن يقدموا إلى قرطبة لاستشارة أطبائها الذين كانوا معروفين بتضلعمهم فى هذه الصناعة . . . والذى ساعد هؤلاء العرب على بلوغ أبعد شأو من العظمة اتساع دائرة العلوم والفنون لديهم ، وانتشار المعارف الفلاحية والصناعية فيهم . لهذا ذاق جميعهم لذة العلم وتنافسوا فى ابتكار ما يمتازون به من الأعمال النافعة ، إلى غير ذلك مما ذكره فى عظمة المسلمين العلمية فى أسبانيا وما أفادته أوروبا من معارف المسلمين تلك ، ولم تكن حال المسلمين بالمشرق بأقل من حالهم بالأندلس فقد اضطردت النهضة العلمية فى البلاد الإسلامية اطراداً وتوفيقاً ونجاحاً حتى جددوا عهد العظمة الإسلامية والنهضة المحمدية المباركة .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ

إِنَّا كَرَّمْنَاكُمْ

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ؛ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)
قرر الإسلام أن الناس كلهم بنو أب واحد وأم واحدة ، فهم إخوة أشقاء يجرى في عروقهم جميعاً دم الأخوة الإنسانية عربهم وعجمهم ، أسودهم وأحمرهم والأصفر والأبيض ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح والتقوى والنفع العام للمجتمع البشري ، فحطم بذلك أغلالاً من الباطل غلت بها أيدي الإنسانية المظلومة عن التعاون الخيري المؤسس على العدل والإنصاف فقد قسمت الأغراض الظالمة الناس قسمة ضيزى لا سند لها من عقل ولا فطرة ولا واقع ، وميزوا بعضها بالوهم والغشم وجعلوها أجناساً من حيوانات شتى وفرقوا بينها بفوارق الأنانية والأثرة والتعالى الكاذب وظلم الإنسان لأخيه الإنسان . خذ مثلاً وثنية الهندوس التي قسمت الناس أقساماً أربعة أعلاها البراهمة وأدناها شودر ينفصل بعضها عن بعض في كل شيء من مرافق الحياة في الطعام والشراب والاختلاط والاتصال والزواج فليس لواحد منها

أن يتطلع إلى غير طبقته أو يرفع بصره عنها حتى لقد اعتقدت كل طبقة
 بنجاسة من دونها ، فالشودر مثلاً عليه أن يخلى الطريق لمن فوقه كالبرهي
 ولا يصح له بحال من الأحوال أن يمسه ولا أن يتعبد معه في معبد .
 دعى الحكيم أجمل خان زعيم الهند السياسي ورأس أطبائها لمعاينة مرض
 أحد الرجوات الهندوس وعندما جس نبضه دعا الراجا بماء لغسل يده
 مما مست يد الحكيم أجمل خان ، فدعا أجمل خان خادمه - مقابل للعمل
 بمثله - فغسل يده وانصرف عن الراجا بازدياء حتى دهش الراجا وانهر .
 هكذا يعامل الإنسان أخاه الإنسان كعاملته متفهيق موسوس لكلب
 أو خنزير وقد سرى هذا العنت والظلم إلى وثنيات أخرى فترى مثل
 هذا أو شبيهاً به لدى جاهلية الفراعنة والأكاسرة والأباطرة حتى عرب
 الجاهلية الذين صهرتهم خشونة الصحراء وساوى بينهم شظف العيش
 لم يسلموا من هذه النعرة الجنسية والتفاخر بالأحساب والاعتزاز بشرف
 الأنساب حتى جاء الإسلام بهذا الانقلاب والإصلاح وبالثورة على
 هذا الظلم الصارخ فدك تلك الحواجز الوهمية وأبطل تلك الفروق الجاهلية
 فنادى في صريح كتابه وعلى لسان رسوله أن الناس كلهم بنو آدم ، ففي
 القرآن ما لا يعد كثرة من قوله تعالى (يا بني آدم) وقوله (يا أيها الناس)
 وهذه الآية في صدر المقال تنادى بصريح العبارة إن الناس خلقوا من
 ذكر وأنثى فهم أشقاء الأبوة الآدمية والأمومة الحوائية ، وإنما جعلهم
 الله شعوباً وقبائل للتعارف بالانتساب لا للتفاخر بالأنساب ولا للتباهي

بالأحساب وختمها بالقول الفصل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وجاء
 في السنة النبوية ما هو ضياء ونور وشرح لكتاب الله تعالى . فعن
 حذيفة بن اليمان قال من تراب رسول الله ﷺ وكنتم بنو آدم وآدم
 خلق من تراب لينهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله
 تعالى من الجعلان أو الجعل ، ويقول العامة : الجعلان دوية خسيصة
 تندس في الأقدار وتتغذى بها . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول
 الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم
 قال : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية - أي
 كبرها - وتعظمها بأبائها . فالناس رجلان : رجل بر تقي كريم على الله
 تعالى ، ورجل فاجر شقي على الله تعالى . إن الله عز وجل يقول :
 « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
 لِتَعَارَفُوا : إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » ثم قال ﷺ
 « أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » . نقله الحافظ بن كثير عند
 تفسير هذه الآية من تفسير ابن أبي حاتم وعبيد بن حميد ، قال : وروى
 الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى عقبه بن عامر قال : إن رسول الله
 ﷺ قال : « إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد . كلكم بنو آدم طف
 الصاع لم يملؤه . . ليس لأحد على أحد فضل إلا بدین وتقوی وكنی
 بالرجل أن يكون بدياً بخيلاً فاحشاً » ، قال ورواه ابن جرير ولفظه
 « الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملؤه » . إن الله لا يسألكم عن

حسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، .
قال الحزري في النهاية قوله ، كلكم بنو آدم طف الصاع ليس لأحد على
أحد فضل إلا بالتقوى ، أي قريب بعضكم من بعض .
كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقصير
من غايه التمام شبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملا المكيال
لم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى . وروى
الإمام أحمد عن درة بنت أبي لهب قالت : قام رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر فقال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال
صلى الله عليه وسلم : « خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله عز وجل وأمرهم
بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم ، وفي حديث حبيب
ابن خراش القصيري أن رسول الله ﷺ يقول : « المسلمون إخوة
لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، رواه الطبراني . وفي حديث
أبي هريرة عن مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى
صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، . وروى الإمام
أحمد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال
له : « أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إن تفضله بتقوى ،
هذا - ولو لم تكن تلك الرذيلة إلا أنها من اختراع رأس كل شر ،
وينبوع كل ضلال أعنى ابليس لعنه الله إذ يقول : « أنا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين ، ، « أسجد لمن خلقت طيناً ، لكني

بها رذيلة وحسبك بها مقتاً وحقارة وعاراً . وقد جاءت سنة النبي ﷺ العملية تطبيقاً لهذا الإصلاح وتنظيماً لهذا المبدأ وجرياً على هذا المنوال الحكيم فقد اشتمأت عصية قريش وعيبتها من التفاف الموالى من السابقين الأولين حول النبي ﷺ كبلال وخباب وصهيب فطلبوا منه أن يطردهم عنه ليجالسوه بنعرتهم الحسدية وتعظمهم بالنسب والجاه والمال ، ومال النبي ﷺ إلى شيء من ذلك حرصاً على هدايتهم وطمعاً في جلبهم إلى الخير فأنزل الله تعالى : ولا تطردون الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين .

وقوله : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وقال للذي لم تظلل الخضراء ولم تقل الغبراء أصدق لهجة منه أزهد الناس في الدنيا وحطامها الفاني أبي ذر الغفاري عندما عير أحد الموالى بأمره فقال له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ في غير محاباة ولا مداورة « أعيرته بأمره ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، فقال أبو ذر : على كبر سنني يا رسول الله !! فكان أبو ذر بعد ذلك يقسم قطعتي الحلة بيده وبين مولاة فيلبس شقها ويلبس مولاة شقها الآخر وهو الذي روى الحديث

• إخوانكم خوالكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده
 فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ، . وزوج عبدالرحمن بن عوف الزهري
 أحد سرة الصحابة أخته لبال بن رباح الحبشي المولى رواه الدارقطني
 وبنو زهرة هم بنو زهرة من عليا قريش وأصهار بني هاشم وأخوال
 النبي ﷺ وزوج رسول الله ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش الأسدية
 القرشية مولاه زيد بن حارثة الكلبى وزوج فاطمة بنت قيس بنت عم
 عبد الله بن أم كلثوم وهى قرشية وخطبها معاوية بن أبي سفيان فأشار
 عليها النبي ﷺ بمولاه وحبه أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى فتزوجته
 واعتبطت به وقالت : جعل الله لى فى ابن زيد خيراً كثيراً . وزوج النبي
 ﷺ بنتيه رقية وأم كلثوم الواحدة تلو الأخرى من عثمان بن عفان
 الأموى العبشمى ، وزوج ابنته زينب من أبي العاص العبشمى ، وزوج
 على بن أبي طالب بنته أم كلثوم الفاطمية الهاشمية من عمر بن
 الخطاب العدوى ، وقال النبي ﷺ لبنى بياضة من الأنصار وهم من
 خالص العرب : « أنكحوا أباطيبة وهو مولى لهم حجام ، . وزوج
 أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى سالماً مولى امرأة من
 الأنصار زوجة بنت أخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة وتبناه .

وروى الترمذى وحسنه عن أبي حاتم المزنى عن النبي ﷺ أنه قال :
 « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة
 فى الأرض وفساد كبير ، . قالوا يا رسول الله وإن كان فقيراً ؟ قال : « إذا

جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات ، وقد رأينا ذلك الفساد الكبير وتلك الفتنة التي أشار إليها ﷺ فيمن انحرف عن هذه السنة القويمة ، وأحيا النعرة الجاهلية وأنبت جذور الشجرة التي اجتثها الإسلام فأعنس العواتق وعجز الفتيات اللاتي أعدتھم الفطرة أن يكن سيدات بيوت وأمهات رجال المستقبل وشقائق الرجال فأفسد تلك الفطرة القويمة واعوج الصراط السوي .

استقام المسلمون أولاً على صراط الإسلام حقاً ظاهراً وباطناً فاستقام لهم عز الدنيا والآخرة وملكوا مقاليد العالم ولما غيروا وبدلوا غير الله عليهم وصرف نعمته عنهم مما نجني ثماره المرة اليوم بل ما نحصد إلا بشوك وقتاد والدين هو الدين في جوهره ولبه ومعناه ومبناه ولو عدنا إليه حقاً لعادت إلينا سيادة الناس وقيادة العالم وعز الدنيا وسعادة الآخرة ولقد قال الله تعالى : وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي وَلَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها يعني بالدين . ولنا رجاء نرجوه في رحمة الله أن يستدير الزمان ويعود للمسلمين عزهم بالتمسك بدينهم . وما ذلك على الله بعزيز .

النهي عن الغلو في الدين

خشي الله على المؤمن أن يغلو في طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نفسه منها ، فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا إذ قال (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) . سورة القصص .

فترى أن الإسلام لم يبخس الحواس حقها . كما أنه هيا الروح لبلوغ كمالها . فهو الذي جمع للإنسان أجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا جسمانياً صرفاً ولا ملكوتياً بحتاً . جعله من أهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة . واستبقاه من أهل هذا العالم الجسداني كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحاني أليس يكون بذلك وبما بينه في قوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) قد أطلق القيد عن قواه . ليصل من رفته الحياة (مع القصد) إلى منتهاه ؟ والنفوس مطبوعة على التنافس ، قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيراً أو تجده لذيداً أو تظنه نافعاً .

وليس في الغريزة الإنسانية أن يقف بها الطلب عند حد محدود أو ينتهي بها السعي إلى غاية لا مطلع للرجبة وراءها . بل خصها الله بالمكنة من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه إلى ما شاء الله أن ترقى بدون حد معروف .

الدعوة إلى الدين

قام رسول الله ﷺ إذعانا لأمر الله تعالى ودعا لعبادته جل شأنه أقواماً جفاة لا دين لهم ، إلا أن يسجدوا لأصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا حجة لهم إلا أنهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم ، وليس عندهم من مكارم الأخلاق إلا ما كان مرتبطاً بالعزة والأثفة ، وهو الذي كثيراً ما كان سبياً في الغارات والحروب وإهراق الدماء ، فجاءهم رسول الله ﷺ بما لا يعرفونه . فذوو العقول السليمة بادروا إلى التصديق وخلع الأوثان ، ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته . وكان أول من سطع عليه نور الإسلام خديجة بنت خويلد زوجته ، وعلى بن أبي طالب ابن عمه ، وكان مقياً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره ، لأن قريشاً كانوا قد أصابتهم مجاعة ، وكان أبو طالب مقلاً كثير الأولاد ، فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب : إن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله ، تأخذ واحداً وأنا واحداً ، فانطلقا وعرضاً عليه الأمر ، فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان في كفاله كأحد أولاده إلى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام ، فكان تابعاً للنبي في كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان واتباع

الهوى ، وأجاب أيضاً كثيرون منهم زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى مولاه عليه السلام ، وأم أيمن حاضنته التى زوجها لمولاه زيد ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذر الغفارى وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبى وقاص وكثيرون غيره .

وهكذا دخل هؤلاء الأشراف فى دين الإسلام ولم يكن مع الرسول ﷺ سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين . وليس ذلك إلا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه الرسول من الهدى .

مضت مدة لم يكن المسلمون يتمكنون فيها من إظهار دعوتهم حذراً من تعصب قريش ، فكان كل من أراد العبادة ذهب إلى شعاب مكة يصلى فيها مستخفياً . ولما دخل فى الدين ما يربو على الثلاثين ، وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم ، اختار لذلك دار الأرقم ابن أبى الأرقم - وكان قد أسلم مع من أسلموا - ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ، ممثلاً أمر ربه ، واثقاً بوعدده ونصره ، فصعد على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر ! يا بنى عدى ! لبطون قريش ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر ، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشا فقال عليه السلام :

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟
 قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً . قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
 فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا؟ ! فأنزل الله في شأنه : « تبت يدا
 أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلي ناراً ذات لهب ،
 وأمراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ، والقصد من حمل
 الحطب المشى بالنميمة لأنها كانت تقول على رسول الله ﷺ إلا كاذب
 في نوادي النساء ، ثم نزل عليه في سورة الشعراء : « وأنذر عشيرتلك
 الأقرين ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس
 أولاد عبد مناف » وأخفص جناحك لمن أتبعك من المؤمنين ، فإن
 عصوك ، أي العشيرة والأقربون « فقل إني بريء مما تعملون » فجمعهم
 عليه السلام وقال لهم : إن الرائد لا يكذب الله ، والله لو كذبت الناس
 جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله
 إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما
 تئامون ولتبعن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان
 إحساناً وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنة أبدأ أو لنار أبدأ ، فتكلم القوم كلاماً
 لينا غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فإنه قال : خذوا علي يدي
 قبل أن تجتمع عليه العرب فإن سلطوه إذن ذلتم ، وإن منعموه قتلتم
 فقال أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا ثم انصرف الجمع .
 ولما جهر رسول الله ﷺ بالدعوة سخرت منه قريش واستهزأوا

به في مجالسهم ، فكان إذا مرّ عليهم يقولون : هذا ابن أبي كبشة يكلم
 من السماء ! وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك
 فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم : والله يا قوم لقد خالفتم دين
 أبيكم إبراهيم . ثارت في رؤوسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التي
 كان يعبدونها آباؤهم فذهبوا إلى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ
 على نفسه حمايته من أيدي أعدائه ، فطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينه أو
 يكفه عما يقول ، فردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما
 يريد ، لا يصدده عن مراده شيء ، فزاد الأمر وأضمرت قريش الحقد
 والعداوة لرسول الله ﷺ وحث بعضهم بعضاً على ذلك ، ثم مشوا إلى
 أبي طالب مرة أخرى وقالوا له : إن لك سناً وشرفاً ومنزلة منا وإنا قد
 طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا
 من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا . فإنهم كانوا إذا احتجوا
 بالتقليد في استمرارهم على عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم
 فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً
 وَلَا يَهْتَدُونَ ، وقال في سورة المائدة : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ وَإِلَى الرُّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . وَأَخِيرًا بَعْدَ يَأْسِهِمْ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ : إِمَّا
أَنْ تَكْفَهُ أَوْ نَنَازِلْهُ ، وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ
انصرفوا فعظم على أبي طالب فراق قومه ، ولم يطب نفساً بخذلان ابن
أخيه ، فقال له : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ الْقَوْمَ جَاءُونِي فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا
فَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ ، فَظَنَّ الرَّسُولُ أَنْ
عَمَّهُ خَاذِلَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا عَمُّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي
يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا فَعَلْتُ حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ دُونَهُ .
ثُمَّ بَكَى وَوَلَّى ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :
اذهب فقل ما أحببت والله لا أسئلك .

حاجة الناس إلى الدين

كان الناس ولا يزالون أمة واحدة مشتبكين في مصالحهم مترابطين في حاجاتهم لا يستطيع الواحد منهم أن يعيش كما يعيش بعض الوحوش والحيوانات ، تجدهم بفطرتهم مدفوعين إلى البحث عن وسائل حياتهم وطرق معاشهم ، يدفعون عن أنفسهم ما يعتقدون ضره ويطلبون لها ما يرون نفعه وقد يخطئون في تحديد النافع والضار ، فقد يكون الشيء نافعاً عند قوم ضاراً في نظر الآخرين فإذا تركوا وشأنهم فلا بد وأن يختلفوا . كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا والخلّاف شر كله على الإنسان وحاجز بينه وبين عمارة الأرض التي خلق لها ، ولا يمكن أن يرجع في تحديد المصالح إلى قوانين من وضع البشر لأنها وليدة الجماعات والبيئات وهي قد تفسد إلى حد كبير ، فترى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً ، وما عهدنا بواد البنات مخافة العار وقتل الأولاد خشية الفقر يعيد ولا يستطيع العقل البشري أن يحدد للناس مصالحهم لأن للبيئة سلطاناً عليه فتؤثر في أحكامه ، وهل يشك أحد في أن الفوضى المروعة التي توجد في نظم العالم الاجتماعية والمبادئ الهدامة الغاشمة التي لا تحترم عرضاً ولا تعرف نسباً وليدة عقول لم يسعد بها الإنسان ، بل أضاف بها شقاء إلى شقائه وكثيراً ما يختلف العقلاء فيحسن قوم ما قبحه آخرون ،

إذا ما هو القياس الذي تعرف به العقل المصيب والعقل المخطىء ؟ هو بلا شك (الدين) .

فكان من رحمة الله بالإنسان أن يكون التشريع الذي يرجع إليه في تحديد علاقات البشر بعضهم ببعض من ناحية معصومة عن الخطأ بعيدة عن الاضطراب وأن يكون من وحى السماء لامن وضع الأرض، من أجل ذلك بعث الله الرسل ليرسموا للناس طريقاً يعيشون على أساسه ويعرفونهم الفضائل ويدعونهم إليها ويبينون لهم الرذائل وينفرونهم منها ، يعلمونهم أن لهم رباً يرجي ثوابه ويخشى عقابه ، لم يخلق الناس عبثاً ولم يتركهم سدى ، أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ، يحلون لهم ما تطيب به نفوسهم وتتهذب به أخلاقهم وتصح به أجسامهم ويحرمون عليهم ما يلوث فطرتهم ويفسد عقولهم ويمرض أجسامهم ، يأمرونهم بما تعرفه الطباع من الفضائل ويتعدون بهم عما تنكره من الدنيا والآخرة والإسفاف .

فالتدين حاجة من حاجات البشر بل ضرورة من ضروراتهم لا يسعد لهم الحال إلا بإشراب نفوسهم حب الدين واطمئنان قلوبهم إليه واقتناعهم بأنه سعادة لهم في دنياهم وذخر لهم في آخرتهم ، ولو أنك وازنت بين رجل له دين وآخر لا دين له لرأيت الفرق بين الرجلين عظيماً : فالرجل الذي له دين يسعد بدينه ويسعد أمته ، والرجل الذي لا دين له يشقى نفسه ويشقى أمته .

قد يظن بعض الناس أن ما تصنعه الحكومات من قوانين للعقوبات
 كفيّة بسعادة المجتمع مانعة له من الفساد، وفاته أن الرجل الذي شب
 على الإجرام إنما يخشى القانون حيث تتوفر الدواعي على إدانته،
 أما رجل الدين فإن دينه حائل بينه وبين الجريمة لإيمانه إن ربه مطلع
 عليه وإن لم يطلع عليه المخلوق فدينه حارس لا يفارقه رقيب لا يبتعد منه
 لأنه بين جنبيه، قال الله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 كانت لهم جنات الفردوس نزلاً، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا»،
 وهناك فرق كبير بين رجل له من نفسه حارس أمين لا يفتر
 عنه ولا يغفل وبين رجل آخر يستطيع أن يتغفل حارسه ليصل إلى ما يريد
 من شهوة وما يتوق إليه من فساد قال تعالى: «ما يلفظ من قول إلا
 لديه رقيب عتيد».

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ

وَلِكُلِّ صِرَاطٍ جَمِيعٍ قَوْلٌ

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

أمر الله عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالاعتصام بحبله المتين وهو التمسك بكتابه العزيز ونهاهم عن التفرق في الأعمال الشرعية الظاهرة والاعتقادات الصحيحة الباطنة تفرقاً لا تحمد له عاقبة ولا تكون له ثمرة صالحة .

وقد أرشدهم إلى ما يكفل لهم السعادة وينالون به أعلى مراتب العز والشرف والسيادة وهو إقامة الدين الذي شرعه لعباده وارتضاه على لسان رسوله وأمرهم بالاعتصام به والأخذ بما دل عليه من أمر ونهى وقبول ذلك بالرضى والتسليم . فبذلك يكونون معتصمين بحبل الله ، آخذين بأقوى الأسباب التي تقربهم إلى ربهم .

وقد شرع الله لعباده من فرائض الدين ما يكون سبباً للتعارف بينهم واجتماع الكلمة والاتفاق في الأعمال والأقوال التي شرعها وأمر عباده بالتزامها ورضيها لهم كالصلوات الخمس والجمعة والعيدن وحج البيت

الذي أوجهه على كل مكلف مستطيع كما قال تعالى ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ قال بعض المفسرين : إن الله جعل ومن كفر موضع ومن لم يحج ففيه نهي شديد وزجر بليغ لمن ترك المسير إلى الحج بعد توفر أسبابه ، ولهذا رغب النبي عليه السلام في الحج والمبادرة إليه بقوله : « بادروا بالحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة » . فإذا كان الحج والعمرة ينفيان فقر من حج واعتمر ويذهبان بذنوبه فلا ينبغي للعبد أن يستكثر ما يبذله فيهما من النفقة ويستصعب مشاق السفر . وقال عليه السلام : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ، وقد بين عليه السلام بالحج بقوله : « من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فهذه الأخبار الصحيحة وما ورد في معناها دالة على فضل حج بيت الله الحرام والصبر على ما ينال العبد فيه من المشاق وبذل النفقات الكثيرة طلباً لمرضاة الله واحتساباً للشواب . وكل ذلك من أجل إقامة الدين واجتماع كلمة أهل الإيمان بالله الواردين إلى بيته من مشارق الأرض ومغاربها . وفي ذلك عز لسلطانهم وعظمة لشأنهم فيخشاهم المعاند لهم والمخالف لدينهم الذي هو أقوى منهم عدة وأكثر عدداً ، وتكون كلمتهم فوق كل كلمة وشأنهم أعلى من كل شأن لأنهم نصروا الله وأعزوا دينه فنصرهم تحقيقاً لوعده الصادق بقوله ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ لأن اجتماع القلوب

على طاعة الله يثمر العز الدائم والسعادة الأبدية، فلا بد من أن يكون الاجتماع مرضياً لله ورسوله، جارياً على الأصول الإسلامية والقواعد المعتبرة، لأن كل اتفاق يخالف شرع الله لا ينال به العز والفلاح لأنه منهي عنه وما نهى الشارع عنه لا خير فيه، وقد قضت سنة الله أن المسلمين لا يتم لهم أمر يريدونه ولا تستقيم لهم حال يقصدونها إلا بامتثال أوامر الله والعمل بشريعة نبيهم.

وهذا المعنى عام شامل للفرد والجماعة فمن استهان بشرع الله خذله الله أينما توجه وفي أي مكان وجد.

وإن للتأمل لعبرة في ماضي الإسلام وما كان عليه المسلمون من العز وقهر الأعداء لما كانوا معتصمين بكتاب الله مجتمعين على طاعة الله يحذرون كل الحذر من تفريق الكلمة وشق العصا، وقد كان النبي عليه السلام يغضب عندما يسمع قولاً يؤول إلى التفريق بين المؤمنين كما جاء في الحديث: أن أنصارياً ومهاجرياً تشاجراً فقال الأنصارى يا لأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال النبي أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم. فهذا كان هدى النبي وهذه سيرته وحرصه على اتفاق أمته وجمع كلمتهم حتى قال: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة. وقال الله تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾.

الدين جامع بين مصالح الدنيا والاخرة

(الصحة) الحياة في الإسلام مقدمة على الدين . أوامر الحنيفة سمحة إن كانت تختطف العبد إلى ربه . وتملاً قلبه من رهبه ، وتفعم أمله من رغبه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، إلا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك اللذات ما فوق العادة .

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ما تملك واتبعني ، ولكن قال من استشاره فيما يتصدق به من ماله ، الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن فر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس » .

(الرخص) فرض الصوم على المؤمنين لكن إذا خشي منه المرض وزيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه ، بل قد يجب إذا غلب على لظن الضرر فيه .

الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة إلا إذا خشي منه لضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء .

القيام بما لا تصح الصلاة إلا به إلا إذا أصابت المصلي مشقة فيه يسقط ، ويصلي قاعداً .

السعي إلى الجمعة : واجب إلا إذا كان وحل غزير أو مطر كثير أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت ، صحة

الأبدان ، مقدمة على صحة الأديان ، فرى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح .

(الزينة والطيبات) أباح الإسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمشتريات ، على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولية جاء في الكتاب العزيز (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله وتمييز بها نفوسنا لذكره وشكره . كما قال (والأنعام خلقها لكم في دفاء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشئ من الأنفس . إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) وقال : (وهو الذي سخَّر البحر لنا نأكلوه منه لئلا تطريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخداً

فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (سورة النحل .
الاقتصاد :

ووضع قانوناً للإِنفاق وحفظ المال في قوله (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا
 إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
 إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) سورة الإسراء

• • •

فإذا جمع سائق الأنفس ومزجيتها ومرشدها وهاديتها ، بين شاحذين :
 شاحذ التمتع بمتاع الحياة الدنيا . وشاحذ الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة .
 فقد جمع لها كل ما يسمو بها عن الرضا في الدنيا بالدون وفي الآخرة
 بعذاب الهون ، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها بشهامة فؤادها
 مضاء الزميع (١) ، لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطالها قعدة
 الرعديد ، فتطلب منافعها من هذا الكون الذي وجدت فيه ووجد لها .
 فتسير في مناكب الأرض ولا تكتفي عن الكل بالبعض . وتبحث في
 تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ، ولا يحجبها ظهرها عن مد يدها
 إلى ما في جوفها ، ولا تجد ما يصددها عن النظر في الهواء ، والبحث
 في الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها وحركاتها في
 مداراتها ، واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل

(١) هو الحازم القوى العزيمة ، يزمع على الأمر فيمضي فيه ولا ينثني .
 والجيد الرأي : المقدام .

مستعد لوجه من وجوه النظر أو الولوج في باب من أبواب العلم، ينطلق إلى حيث يبلغ به استعداده، إما للنجاة من ضرورة، وإما لاستتمام منفعة أو استكمال لذة، لا يجد من نواهي الدين ما يصدده عن مطلب، ولا ما يكف يده عن تناول رغبة، أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص إلا في مجافاة هذا العالم ولذائذه، ويجحد أن الغنى والثروة من الحجب التي لا تحرق، تحول بينه وبين ملكوت السموات؟

كيف يتسنى للمسلم أن يشكر الله حق شكره، إذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره، لينفذ من مظاهره إلى سره ويقف على قوانينه وشرائعه ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه؟ كيف يشكر الله إذا توافى في ذلك وقد أرشده الله في كتابه وبسته نبيه إلى أن عالمه إنما خلق لأجله وقد وضعه الله تحت تصرف عقله، أنظر إلى لطف الإشارة في الآية المتقدمة « قل من حرم زينة الله، الخ حيث قال: (كَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم، ويجمل به هيئتهم، ويجلي به زينتهم.

المسلمون مسوقون بنايل من دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد، ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية، ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك إلا بالعلم، فهم محفوزون أشد الحفز إلى طلب العلم وتلسه في كل مكان، وتلقيه من أية شفة وأى لسان، فإذا لاقاهم العالم في أي سبيل أو عثروا به في أي جيل، أو ظهر لهم من

أى قبيل ، هشوا له وبشوا ونصبوا إليه وكشوا ، وشادوا به أو اصرهم ،
وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يبالون ما تكون عقيدته ، إذا نفعهم
حكيمته ، الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها ، ألم يأتيهم عن
ربهم : (يوتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيراً
كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب) ألم يسمعوا في وصفهم قوله :
(الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) .

ذلك شأن المسلم مع العلم إذا كان مسلماً حقاً ، وذلك ما تنجر إليه
طبيعة دينه ، وحديث « أطلبوا العلم ولو بالصين ، إن كان في سبيل لفظه
إلى النبي ﷺ مقال فسند معناه متواتر ، فإنه سند القرآن نفسه فإن الله
يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب
العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي ﷺ .

لا شيء ينقلب عند النفس الإنسانية لذة بنفسه ، وإن كان في أول
أمره مطلوباً لغيره ، مثل العلم ، تطلب العلم أولاً لحاجتك إليه في تقويم
معيشة ، أو ترقية حال ، أو دفاع عن نفس وملة ، ثم لا تلبث إذا أوغلت
فيه أن تجد اللذة في العلم نفسه ، فتصير اللذة بتحصيله والوصول إلى
دقائقه غاية تقصد بنفسها وتضمحل فيها كل غاية سواها ، وعلة ذلك
ظاهرة ، فإن العلم مسرح نظر العقل ، والعقل قوة من أفضل القوى
الإنسانية ، بل هي أفضلها على الحقيقة ، وقد وضع لها العليم الحكيم لذة ،
كما منح لكل قوة سواها نعيماً ولذة ، ولست في حاجة إلى تعديد لذة

الكتاب الأول

وما يجب على المسلمين معرفته عن:

الملك

الخير

الدين

مع عرض لآراء كبار رجال الدين والأدب
بمصر والحجاز قديما وحديثا

وضع واختيار

الحاج عباي سن كراة

ريالين - مودى بمكة
١٥ قرش بمصر

حقوق الطبع محفوظة للؤلف

الطبعة الثانية

يطلب من المكتبات المشهورة بمصر ومكة والمدينة وغيرها الموصحة بأخر الكتاب